مفيض ، وجناح الكفـــر بجناح رجـــائه ورواج مناجحـــــــه مهيض ، وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض .

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصـن الكرك ، وذلك ان مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تعـدم مـن محـاصرتها المضـايقة الناكية ، وكان الملك العـادل اخـو الســلطان مقيمـــا بتبنين في العساكر ، محترزا على البلاد مـن غائلة العـدو الكافـر ، مقـويا للأمراء المرتبين على الحصون ، حـافظا على الدهمـاء بحـركته في الأمور عادة السكون ، وكان صهره سـعد الدين كمشـبه الأسـدي بالكرك مـوكلا ، وبـــأهله مذكلا ، وقـــد غلق رهنه وبقـــي داؤه معضلا ، وأمره مشـــكلا ، حتـــى فنيت ازوادهـــم ونفـــدت موادهم ، ويئسوا من نجدة تـأتيهم ، وأمحلت عليهـم مصـايفهم ومشـــاتيهم ، فتـــوسلوا بـــالملك العـــادل ، وابدوا له ضراعة السائل ، وتذرعوا بـوسائل الرســائل فمـــا زالت الرســـالات تتردد ، والاقتراحات تتجدد ، والقوم يليذون والعادل يتشدد ، حتى دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامـة ، وكتبت عن السـلطان في بعض البشـائر ، مـــاالهى بحـــلاوته عن أرى (٢٩)الشـــائر ، وهـــو انا لما عدنا الى دمشـــــق رأينا ان لاذستريح ، ولاانثني عن كسر العـدو عزمنا الصـحيح ، فقلنا نغتنم هذه الشتوة ، ونســـتكمل الحـــظوة ، ونواصـــل بـــالغزوة الغزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شـغلت منا في هـذا الجـانب قلوبا وعساكر ، وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر ، وبيمن صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهـاد على الشـيمة ، وردت البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماح الأصحاب ، وخـرج منه الفرنج ودخله الأصحاب ، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث نفسه بقصد الحجاز ، وقـد نصـب اشراك اشراكه منه على طـرق

الاجتياز ، فأذقناه عام أول كأس الحمام ، وملكنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام ، واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام ، وتم بحل هذا البيت أمن البيت الحرام ، وقد كان هذا الحصن ننب الدهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا ، فالحمد لله على ماقدر من الحسنى ، ويسر من النعمى ، حمدا يكون لما قدر ازاء ، ولما يسر جزاء والحمد لله الذي انجز صادق عداته ، في كاذب عداته .

ذكر محاصرة صفد وفتحه ، وادراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا مخاضة الأحزان خائضين في بحار المسرات المتواصلة ، راكضين الى مضمار المبرات الحافلة . والسلطان سائر والجنة تحت رايته مفتوحة ابوابها ، والنصرة فوق ألويته مشدودة اسبابها ، في اطلاب ابطال اذا أوعاها الفجر لم يسعها الى عشائه ، واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صفد . والصبر قد نفد . والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وقد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بالرأي والحزم ماالزمان أرخاه ، وبعث كل ذي عزيمة على التصميم ونخاه ، وشرعنا في مراومة القلعة ، ومساومة السلعة، وجثت المجانيق لاجتثاثها وحدثتها بألسنة أحداثها ، ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب تلك الأبراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطهامن العذاب الواقع بها اجازة . فما رفع بها الحصن الراسي رأسا ، ولاالحجارة مست منه ركنا ولاالذقوب باشرت أساسا ، ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها ، والذقب لم يكشف ذقب السور عن وجوه فرنجها ، ودمنا عليها ، الى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتيال ، حتى اذن الله في الفتح

فسهل ماتصعب ، وحضر ماتغيب ، وظهر ماتحجب ، وتيسر ماتعسر ، وامكن ماتعذر ، وتأتى ماتأبى ، وأجاب نداء الاسلام ولبى ، وعلموا ان صفد ان لم تخرج من ايديهم دخلت ارجلهم في الأصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالأساد ، ونزلوا من سماء العز الى ارض الهوان ، فأذعنوا للضراعة وتضرعوا بالأذعان ، وأخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الأمان ، وصارت صفد المسلمين صدفا ، وكانت بالمشركين هدفا ، وعادت للاسلام سدا ، بعد ان كانت للكفر ردءا ومردا ، وطالما مكث فيها المشركون و (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (البقرة ١١٦) (لقد جئتم شيئا اداء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)(مريم ٨٩-٩٠) ، ولقد كانت مارنا للكفر جدع.ومرفقا للشر قطع.وناظرا للعدو غض وقد شخص ، وجارحا له هيض وقد قنص ، ويدا للباطل شلت ، وقد امتدت ، وعقدة للضلالة حلت وقد اشتدت ، وتخلصت الداوية بادوائها ، وتملصت بأسوائها ، وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور .

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت • وانها على الفتح الذي يشفي اشفت . قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح الدين عن قصدها لايتذكب . وقد أقوت من القوة . وهي تهي ان لم نعالجها بالنجدة المدعوة . وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها • وقل ظهورها لظهور اقلالها • وهذا أوان انجائها وانجادها . وهي مشرفة على العدم فدبروا في انجادها . فاذا قويناها وحميناها بقيت عدة في العواقب . وعصمة من النوائب • فقال مقدم الاسبتار هي كوكبنا المتلالي • ومذكبنا العالي . ومعقلنا المحكم • ومعقدنا المبرم

وحصننا الحصين . ومكاننا المكين . ولنا منه المربع المريع . والمنبع المنيع . والمحل المحلى • والمعلم المعلى • وهي قفل من البلاء على البلاد . وموئل من الخطوب الشداد • ولعلها تثبت إلى أن توافينا من البحر ملوكنا . وتعود الى عادة الانتظام سلوكنا • فما تبطىء جداتنا . وما تخطي نجداتنا • واجمعوا على تسيير مائتي رجل من النخب • المعدين لدفاع الذوب . من كل جرخي نخي • وكمي أكمي • وجهم جهنمي . وسقر سقري . ووعل جبلي . وبطل باطلي . وكلب كلب . وذئب سغب • وعاسل معاسر . وباسل باسر • ومغوار مغو . ومتلوم متلو • وذمر متذمر . ونمر متنمر . وسبع ضار . وشواظ من نار . وجمر من الجحيم . وحام من الحميم . من شياطين يجذون الجذون . ويمذون المذون . ويشيذون الشؤون . ويهدون الهدون . ويحزون الحزون • ويفوتون الفتون . ويظذون بالله الظذون . وقالوا لهم: كيف تمضون وطريق السلامة مخيف وطارق الاسلام مطيف . والشجامنيف . والشجب مضيف . فقالوا نحن ذسير ونصير في ضمائر الكهوف اسرارا . وعلى اجياد الاطواد أزرارا . وفي اوكار المغارات اطيارا . وفي اعماق السيول اكدارا . وعلى ظهور الريود اوزارا . نسري ليلا ونختفي نهارا . والليل للعاشقين ستر . ولكم ادلج من الوتر . والنهج وان بعد فهو في قرب عزمنا فتر . . ومن رام الذفيس الخطير رمى نفسه في الخطر . وطار الى الوطر . وغرب الى الغرر . ثم عزموا على ما زعموا . وعملوا بما عنه عموا . وخطروا الى الخطر . وحاولوا بما لهم من القدر مزاولة القدر . وتوقلوا في الاكم . وتوغلوا في الاجم . وتبطنوا في الاودية . وتمكنوا في الاقنية . واحترسوا بالكمون . واحترزوا من العيون . وتحركوا على السكون . وكادوا يصلون الى الموضع . ويحصلون على الطمع . ويدركون الطلاب . ويهتكون الحجاب . ويعيدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد اليأس جروحه . فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده وقيده . واتى به الى صاحبه صارم الدين قايماز واستغرب من الافرنجي هناك الجواز ، فأخبره بالحال . وان بالوادي مكمن الرجال . فركب اليهم في اصحابه . والتقطهم من سرر الوادي

وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك الاشقياء . وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج . ولا عاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا نحن على صفد للحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من الانصار . حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرنين في الاصفاد . مقودين في الاقياد . وكان بهم مقدمان من الاسبتار . وقد اشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبقي على احد من الاسبتارية والداوية . فاحضرا عند السلطان للمنية . فانطقهما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام مثولهما . ما نظن اننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سو . فعرفت ان بقائهما مرجو . وانتظرت امر السلطان فيهما . وايقنت انه يبقهما . فمال الى مقالهما . وامر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه الكرم . وحقنت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر من التدبير . واتعاس من جردوه بالتدمير . وفتح الله علينا صفد ثامن شوال . فشكرناه على ان مد النصر متوال . وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناط الكوكب . كأنها وكر العنقاء . ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاوية . ونزعت بها ذئاب غاوية . ونزت فيها سباع ضارية . وحمتها بحميتهما وابت النزول على امنيتنا ولو بنزل منيها . واختارت العطب على العطاء . وامترت خلاف الخلف والشقاق للشقاء . وابت غير الاباء . وبصرت بالامر فصبرت على الضر . واصرت على تحمل الاصر . وترامت على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامي الصوائب . وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار . وخلصه الى الابد من العار . ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار . فتتجلد للاصطبار . وتنشدد للانتظار . فقاتلوا اشد قتال . ونازلوا . احد نزال وفوقوا الجروخ

المصمية . وصوبوا الصخور المردية ورفعوا المنجنيقات المؤجية . وتواترت زيارات الزيارات الموتره . وتناوبت ذوائب الزنبورکات المطيرة . واجترأوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح • ودمنا في الدم . ورد الوجود الى العدم وتجرئه الرجال . والتجريد للقتال . وايتار الحنايا . وايثار المنايا • والرمي في المنجنيق . والجمع والتفريق . والرقع والتخريق . والنقب والتعليق . والحفر والتعميق . والحصر والتضييق . والهدم والرد والردم . والصد والصدم . وكان الوقت صعبا . والغيث سكبا . وتكاثرت السيول . وتكاتفت الوحول . ودامت الديم لدموعها مريقة . وبقيت الخيم في الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا مربط • ولا لسالك مسلك ولا مسقط . وكنا في شغل الشاغل من تقلع الاوتاد وتوتد الاقدام . ووهي الاطناب ووقوع الخيام وكأن الخيم مناخل الانداء .

وعدمت الانوار لوجود الانواء • وفقد ماء الشرب مع سيل الماء • والروايا ما نهضت . ولا نزعت ولا غمضت • والرواحل في الطين باركه . وللحياة فاركة . وللعلف تاركة . والمطية مطينة وسبل السيل مستبينة • وقد كشر البرد بالبرد عن اسنان عضاضة بالذرد . والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها ضيقة . وللمثق (٣٠) ثقل • وللقلق عقل . وما ثم الامانيط بالطين • وصعب علينا بصعوبة هذا الامر أمر اولئك الشياطين • فنقل السلطان خيمته الى قرب المكان . لتقريب وجوه الامكان • وبني له من الحجارة ماصار له كالستارة • فحضرت بين يديه والسهام تعبرنا ولا تذعرنا . والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد قلع وعلق • والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند . وانجد الجد . ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل . فحفت الثقل بنقل النقل . وطاب المقام بالغور • وسهل بالسهل . وتحولت الشدة الى اللين وتحللت الى الطيب عقد الطين . وما زال السلطان ملازما للحصن . وهناك ظاهرة له منه اسباب الوهن . حتى علق بعض جدرانه . وطرق الهدم الى بنيانه . فتسلمه بامانه . واذهب سكون سكانه . فاخرجهم راغمين . واحرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما فيه . واصبحوا بعد مقاتلته للعفو والمعافاة معتفيه . وذلك في

منتصف ذي القعدة . وانتصفت الايام بحل تلك العقدة . ورجعت الليالي بالسكون الى طيب الرقده . وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها . وخلوها وأبوا أن يلوها . وتخلوا عنها بهمم واهية فدوليها قايماز النجمي على كراهية . بعزيمة عن مهامها لاهية • وانتقل السلطان الى المخيم بالقضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على عزم مصر بعد ما استكمل لنا مقامه بصدق الكلمة وجد اعتزامه الفتح والنصر. ثم تحول السلطان الى ارض بيسان • وأزال البؤس • وزاد الاحسان • واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم في باقي الدهر . واظهر من الفضل ما لم يكن مستورا. وأعطى الأمراء والاجناد في إنفصالهم دستورا . وسار ومعه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة واضح المحجة لائح البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور وزارا للبركة • وتبركا بالزور • ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعميم المبرة • وعيد بها يوم الاحد الاضحى • وأضحى بعد ما ضحى ، وقد اصحب مراده وأصحى.وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ونظم أسباب أحكامها • وتدبير أحوالها . وترتيب رجالها • وأقام أياما يوضح الجدد.ويصلح ما فسد ويذشد من الذفع مافقد • ويخمد من الشر ماوقد • فاذا وجد شعثا له . وان الفى نشرا ضمه . وان صادف فتقا وثقة . وان لقي حقا حققه . وان عثر على باطل عفى اثره ، وان بصر بأمل خصه بعرفه وآثره.ثم ودعه اخوه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موفقا في مورده ومصدره • فما عبر ببلد الا قوى عدده • وكثر عدده وواصل بالرجال مدده • وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبنى الامكان ، والحمد لله الذي وفر حصة الصحة وحول المحنة الى المنحة وكمل الشفاء بعد الاشقاء واهدى عند اليأس أرج الرجاء .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم • والنهج قويم . وهو يبوب اسباب حفظها • ويسبب ابواب حظها ، ويهذب مراتب مصالحها ويرتب مذاهب • مناجحها . ويعدل جوانح امورها . ويذلل جوانح جمهورها ، ويقوي ما وهى • ويسري ماهوى ، ويحلي من الشان ما عطل ، ويعلي من المكان ما سفل • ويعيد نظم ماانتكث • ولم ما تشعث ، ويجيد كل مادعا إلى بعث مامات منه وبعث • ومكث بها لايريم القصر إلى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامة محافظة على الحماية المستدامة • فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء السور ، واحكام احكام الامور . وولى الامير حسام الدين بشارة بعكا واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في ايثار العدل تاليا . ثم خرج السلطان وسار على طبرية • ودخل دمشق مستهل صفر . وقد استكمل الظفر ووجه الدين به قد سفر • وعز من أمن وذل من كفر • وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال قد ذفر ، وجلس على سرير السرور • ولبس حبير الحبور وبدأ بحضور دار العدل فدر عدله للبادي والحاضر واقام سفور بشره للمقيم وللمسافر . وأفاض الفضل • ومحا المحل • وأعلى أعلام العلماء • واحلى احلام الحلماء • وأمضى أحكام الحكماء وقضى باكرام الكرماء • واسدى المعروف واعدى الملهوف • وانكر المناهي ، ونهى عن المنكر، وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر • واقام مدة الشهر . واولياؤه جناة النصر واعداؤه عناة القهر ، وايامه مسفرة ولياليه مقمرة، ومغارس اياديه ثمار المحامد مثمرة • ومجالس اعاديه في ديار الشدائد مقفرة • والملك بزهوه زاه زاهر • والدين ببهائه مباه باهر والافاق منيرة والانوار مفيقة • والدولة حق مدال وحقيقة والجاه وافي جده والجود وفي عهده والسماح سماء تهمع، والمراد مراد يمرع والوجود بالبشر بهجة ، واللاسنة في الشكر لهجة • والشريعة شرعة

واضحة وللحق سنة لستر الباطل فاضحة • والصنائع راجحة والذراع ناجحة .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد عدة الدين ابي نصر محمد ابن الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد امير المؤمنين

بتاريخ اوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر الجلالة ، ومربع الامامة • وموضع الكرامة • ومطلع الهدى ومنبع الندى • ومشرق نور الايمان • ومشرع فيض الاحسان • ومرجع المرجين • ومفزع الملتجيين ومنجي الناجين • ومنتجي المناجين ومهبط الوحي • ومصعد الامر والنهي • ومقصد نجاح السعي ، ومخفض جناح الرحمة • ومقطف جني النعمة • ومجر نيول المناقب • ومجري سيول المواهب • ومزار املاك السماء • ومدار افلاك العلاء • ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض • وموطن التنزيل . وموطيء جبريل ، ومقام الخلافة . وموام الرآفة . ومحمل الامانة . ومحل الديانة . ومطاف الطائفين . ومعرف الواقفين . ومرقف العارفين. وقبلة المقبلين . ومؤئل المؤملين . وكعبة القاصدين . ومثابة الوافدين. ومعفر وجوه العظماء . ومكفر ذنوب الكرماء . ومعصب السيادة القرشية . ومنصب الوراثة النبوية والسدة الشريفة الناصرية . ودار السلام . وقبة الاسلام . فابتهج السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السول . وسر سره . وأبر بره . وصدر بنشر الانشراح صدره . وقدر على الاتسام بالتسامي قدره . واحتفل بأسباب التلقي ةالحتف باثواب الترقي . وسأل عن الرسول المندوب . للسؤل المخطوب . فقيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه . وصل بالضياء والسكينة . والاحوال الحالية المزينة . وكان وزير الخلافة يومئذ معز الدين بن حديده • فعين لهذه الرسالة ابن سكينة حين عرف

اراءه السديدة • فتلقاه يوم دخوله الى دمشق السلطان واولاده • وكان يوم مشهودا حضره أعيان البلد ماثل العسكر واشهاده • وأنزله في دار الكرامة . ورتب له وظائف الاقامة • ثم جلس له في يوم سعد صباحه . وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره واوضاحه . وملات طرفي الزمان والمكان افراحه • وجاء على وفق الآمال اقتراحه . وختم باليمن والاقبال رواحه . وورد بكل ما ابهج الاولياء • وأزعج الاعداء . وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه • وشنى عطف تباهيه وهزه . ورسا له طودا بالوقار في ايراد الرسالة . وجلالة في مهب المهابة انوار الجلالة . وتلافظ له بالتفضل . وتطوق منه بالتطول . وبشر بان امير المؤمنين فوض ولاية عهده • الى ولده عدة الدين ابي نصر محمد من بعده • واخذ بذلك العهد على من حضره من اعيان الامة . وحفظ عليهم بتوليته ما أولاهم الله به من النعمة . واستظهر بما خص به من هذه المرتبة • وامر بذكر اسمه ونقشه في الخطبة وعلى السكة . وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة . والشكة. وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر . ولم يبق من الامراء والاماثل والافاضل إلا من حضر • واحضر معه الدنانير ونثر • وتولى ذلك الملك الافضل فاظهر ابهة ملكه وبهاء فضله . وحصل الاسلام من ري رأيه على نهله وعله . وندب للرسالة الى الديوان العزيز ضياء الدين الشهر زوري القاسم بن يحيى . ليبشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيي . وسيرت معه الهدايا . والتحف والطرف السنايا . وأسارى الفرنج الفوارس . وعددها الكوامل النفائس . وتاج ملكهم السليب والصليب • والملبوس والطيب • واضفيت على رسول الامام ملابس الاكرام . وقفل ناجح المرام . واصطحب الضيآن لاضاءة مطالع الايمان . بسفارة سافرة عن سني الاحسان . وبشارة شائرة جني النحل من نحل الجنان . واهتزت الاعطاف . واعتزت الاطراف • وابتسمت ثغور الثغور لسدادها . وانتظمت امور الجمهور لسدادها . وسرت القلوب . وسريت الكروب . وخزي الحاسد الحاشد . وقوي الساعد المساعد . وواصل في طريقة الاغذاذ . حتى وصل الى بغداذ • فتلقي الرسول بالسول • وقوبل بالقبول .

وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الى تالد جده القديم جده الجديد الطريف . ودخل البلد وأسارى الفرنج على هيأة يوم قراعها . راكبة حصنها في طوارقها وبيارقها . وادراعها . وقد نكست بنودها واتعست انوفها . وهيئت على هيأة فتوحنا حتوفها . ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها • ثم عطف به الى دار الكرامة فنزلها . والفى الوزير ابن حديدة قد عزل . وأقام في بيته واعتزل . وتصدر في الدست للنيابة . وسماع الخطاب والاجابة . من له المجد الاثير الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء . وقد خص بتولي الحل والعقد والاخذ والاعطاء . فتولى سماع الرسالة وجوابها . وأولى صوبها ووالي صوابها . وسياتي في موضعه ذكر ما انهت اليه الحال . وجرى به القال . وكيف شغلت العوائق وعاقت الاشغال .

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال . وأداه من فرض الاعظام والاجلال . وقام به من الامر الذي قام به أمر الدين والدنيا . وبادر اليه من استثمار طاعته التي دامت لها من نعمة الدار العزيزة في إزكاء مغارسها السقيا . وحل حبا الحب لما حل من حبائها • وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولائها . وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من إسعادها . واستجد عهد الجد المورق المونق بما جاد ثراه من ثرات عهادها • ونهض من الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين • وأبرم من عقد عبوديته الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووثق لما وافق المراضي الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضى . وسبق الى ما سبق به جواد صدقه في جواد قصده • وافتتح فريضة طاعته في حلاوة

عبوديته بتلاوة فاتحة حمده . وأنهى الى نهاية النهى • وأطاع ماأطاق فيما أمر الله به ونهى• وماوضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده . وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين وافد النصر ومدده • وان يعضده بولده ولي عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا والدين • ويقر به عيون المسلمين . فقد فاضت البركات . وآضت الحسنات . وأضاءت الكرامات • وراضت جماح الاماني المبرات المبرات . وهاضت جناح الكفر الفتكات المرديات . وعمت الميامن . وتمت المحاسن . وتمت النعم الظواهر والبواطن . وضمت بسكون الدهماء اهلها المعاهد والمواطن . وصدحت المنابر . وصدقت المفاخر . وصدعت الأوامر . وصدفت الفواقر . وصدمت قلوب أهل النفاق من بواعث الرعب والبواعث البوادر . ونقشت صفحات الدرهم والدينار .ونعشت عثرات الاخيار الاحرار . وفرشت مفوقات الانواء والانوار • وعرشت اسرة المبار والمسار . ورفعت رغبات الابرار • وسمعت دعوات الاسحار . ونزل النصر . وفضل العصر • ووجب الشكر . وشجب الكفر . ورحب الصدر • واصحب الدهر • وسحت سماء السماح . وصح ارواء الارواح . وتضوع نشر الانشراح • وتوضح صباح الصلاح . وطال جناح النجاح . وطاب جني الافراح . وعظم القدر . ونظم الامر . وحسن الذكر . وأمن الذعر . واهتزت اعطاف الاسلام . واعتزت اطراف الشام . وتبلجت ايا من الايام . وتروجت اماني الانام . وأرجت أرجاء الرجال • وثبتت باسناء الأسناد رواية أمالي ري الامال . وقرت الأعين وابتهجت بالسعد الطالع • وأقرت الألسن والتهجت بالحمد الجامع . وقرت الأنفس وانتهجت بوسعها سنن العز الواسع • ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في ذفع الأوام (٣١) ونقع الانام مناب المنابع • وأرخت السير وسيرت التواريخ • وخلقت ملطفات البشائر ليوجب تفخيمها وتضخيمها التضميخ . واشرق المغرب من بشر البشرى . وانارت مصر من حسن هذه الحسنى . وبسمت بسمة الشرف منابر الأقاصي والأداني . موافقة لمنبر المسجد الأقصى . وتطرزت الفتوحات الفاضل عصرها • الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب . وفاحت في

مهاب المحاب نفحات هذا الزمن الأطهر الأطيب . وعاد الزمان الى اعتداله . وعاذ العدل بزمانه . وتاب الدهر من عدوانه . وآب إلى احسانه . ورجع الدين إلى سناء سلطانه . وفجع الكفر بعبدة صلبانه . وبطش الايمان بايمانه . واستخلص من الشرك بلدانه بلدانه . وتقاضى الربيع بقروضه . وضافت ضيوف فيوضه . وعتب العزم على ربوضه . وحض الخط . على نهوضه . وحث الحب على اقامة سنن الجهاد وفروضه . فقد درت افاويق الآفاق . وذرت أشعة الاشراق . وافترت نضرة الحدائق لنظرة الاحداق . وراقت أوراق الألوية كالتواء الأوراق . وأزهرت البيض والسمر كازهار الرياض . وأذف غرار الجفون في الاغماد من الاغماض . وتيقظت الاقدار للاقدار على ايقاظ عيون البيض لاجراء دم الشرك المطلول . وتنزل البركات في انتجاع المراق من نجيع المارقين لا تزال نص النصر على النصل المسلول . وقد آن ان ترعى الحشاشات منهم على رعي الحشيش . ويطير الى اوكار المقل طير السهم المريش . وترتع ثعالب العوامل في عشب الكلى . ويطن ذباب المناصل في لوح الطلى . وترن رقاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على الأعواد . وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الأطواد . وتحمل اشجار القنا بثمر الهمام . ويجيش الفضاء المعشب بزهر الجيش اللهام . ويقطف ورد الموت الأحمر . من ورق الحديد الاخضر . ويوقف حد الهندي الأبيض على قصر بني الأصفر . ويجري في ورد الوريد جداول البواتر . وترمي من الحصون العاديات الى حصون العدا جنادل الحوافر . وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر ضوامن الضوامر . وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتخ الكواسر . ويعبق ثوب الدارع من ردغ الثواب بسهك الماذي . وتعلق في ملتقى التقي الفات السمهري . بلامات السابري . ويظهر الحق بخذلان الباطل . ويحل بأيدي الأيد ما بقي مع الفرنج من معاقل المعاقل . ويغرق بحر المجر الجرار ما تخلف

من ساحات الساحل . فلم يبق بـه مـن المدن المنيعـة الا صـور وطرابلس . ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعون الله تدرس . وأما انطاكية فانها بالعراء مدبونة . وعند الاتجاه اليها مأخونة . على أنها بوقم قومها عام أول موقونة . وحدود العزائم اليها عند انقضاء هدنتها مشحونة . فانها قد نقصت من اطرافها . ودخل عليها من اكنافها . وجدعت بفتح حصونها عرانينها . وضيق على أسدها وسيدانها المحصورة المحشورة فيها عرينها . فهي نهزه لمفترض . وطعمة لمقتنص . وسلعة لمسترخص . وبلغة لمستفحص . وقد خرج الخادم ليدخل البلاد . ويستأنف بجهده الجهاد . ويستقبل الربيع بربيع الاقبال . ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لأوقات النزال . وهو يرجو ببركة هذه الأيام الزاهرة من الله ان ينجد جند ارضه بجند سمائه . ويوفق الخادم لتصديق امله في تطهير الأرض من انجاس اجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجحافل حافلة . واسراب الكفر بين يديها جافلة . ومعاطف الاسلام في لباس الباس رافله . ونصرة الله بانجاز عدائه في قمع عداته كافله . والحمد لله الذي وفق عبد مولانا أمير المؤمنين في طاعته لنصر أمره . وإخلاص الولاء في سره وجهره . واقتناء كل منقبة حقق بها فضل عصره . وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما يفتح مرتجا الا بتقليدها . ولا يستنجح مرتجى الا بتأييدها .

ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف ارنون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق . وقد اطاب لمناشق الآمال من نشره النشق . ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة . بالمحبة المجتمعة والمهابة الممتنعه . متوجها الى شقيف ارنون . ليقر بفتحه العيون . ويصدق في استخلاصه الظنون . وأتى مرج برغوث . وأقام به الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث . ثم رحل على سمت بانياس . وقد اوقع رعبه بين اهل الكفر البأس . وأتي مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف . وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف . وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول في أواسط فصل الربيع . وأقام في ذلك المرج الوسيع . والروض الوشيع . وأسمنا الخيل في اعشاب واصية . ورتعنا في الطاف من الله دانية غير قاسية . وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط .وقد أكمل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائعا . ولأمره سامعا . ولرضاه تابعا . وفي موضعه شافعا . وعلى حصنه خاشيا ولأجله خاشعا . وسأل ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله ، وأظهر انه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع يغنيه . وعن حب أهل دينه يسليه . فاكرمه وقربه . وقضى اربه .وأجابه الى ما سأله . وقبل منه عزيز ما بذله بذله . وأمهى (٣٥) غرب رغبه وأمهله . وأخذ له وما خذله . وخلع عليه وشرفه . ورفعه في ناديه بنداه وعرفه . واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه . ووجد اليه سكونا وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصنه ، وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتتميم مستحكمة . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله . وتدبير احواله . وتكثير امواله . ونحن في غرة من تحفظه . وفي سنة من تيقظه . وفي غفلة

من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة . ويكثر فيه الذخيرة . وقد صدقنا كذبه . وحققنا اربه . وانهي الى السلطان ما هو مشتغل به من عمارة يجدها . وذخيرة يعدها . وثلمة يسدها . وقوة يشدها . وميرة يستمدها . وكان بالمذكور سديد الظن . شديد الضن . لا يقبل ما فيه يقال . ولا يظن به عثورا يقال : فلما كثر فيه القول . وتمكن من مسألته العول . لم يرد ان يبدي له ما قيل . ولم يصدىء بالتغير عليه وجه جاهه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل . وتحويل الخيم اليه والثقل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة وأظهر ان المرج وخيم . والمقيم به سقيم . وأم الدهر فيه بالصحة عقيم . وكان المقصود ان الشقيف من عيانه يقرب . واخباره عنه لا تعزب . فلما علم صاحب الشقيف بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك بالعصمه . وذكر انه متعزز بذل الطاعة . وبذل الاستطاعة . وتضرع خاضعا . وتعرض خاشعا . وذكر انه تخاف له اهل بصور . وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وانه يترقب وصولهم . ويأمل عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده الذكير الذكيث . واقام يوما وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امنه . وكانت المدة قد دنا انتهاؤها . وقرب انقضاؤها . فانها الى آخر هذا الشهر . ولم يجد بدا من التسليم او الغدر فعاد بعد ايام . باكتئاب واغتمام . وحضر عند السلطان فقال ما اظهر به الابتهال . واستزاد الامهال . وذكر انه رقيق الامتنان . وعتيق الاحسان وانه العبد القن . وقد دخل عليه الوهن . وغلق به الرهن وانه يبقي أهله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن انشأ غرسا سقاه فأبقاه . وأشكاه فأزكاه . وأسماه فاناماه وقد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع . ولا تضع الصنيع . وسأل ان تكون المده سنه . وان يتبع الحسنة في حقه حسنه . وان يرخي بطوله طوله . وان يشفي بشفاء أمله أمله . فراقه قوله . فرق له طوله . ثم افكر في أمره . واستمر في فكره . ففادر على عزيمة

غدره . وجاهر بسر شره . بعد ان ماطله وطاوله . وزاوله على ما حاوله . وأقام اياما يردده . ويخصه من الكرامة بما يجدده . ثم كشف له الغطاء . بعد ان أجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك ما لا نظنه فيك ولا نعلمه منك . فجحد ما عنه رقي . وانه كيف يلقى بالكفران ما من الانعام لقي . وأنه لم يسعد بامهاله في الشقيف شقي . ثم سأل في ندب من يوثق بأمانته . ويؤمن الى وثاقته . ليدخل الموضع ويلمحه . ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه . فرجع المندوبون بخبر ما أبصروه . وذكروا أن الحصن قد غيروه . وانه قد استجد في سوره باب . واستمدت له من احكام احكامه اسباب . فاستحكم به الارتياب . وعرف ان السرح قد حوته الذئاب . فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم . وقيل لعله يحسن فلا يحوج الى عقابحته ويسلم . ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة . والمهلة الموهوبه . فتقيم عندنا حتى تنتهي المدة وتنقضي . وتسلم الحصن وتسلم وتمضي . فأبدى ضرورة وضراعه . وقال سمعا وطاعه . وكان له ملقى وملق . وفي لسانه زلق . وما عنده من كل ما يفرق منه فرق . وقال انا انفذ الى ذوابي في التسليم . وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم . فأظهروا عصيانه . وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقي من المهلة يومان فماذا العجلة التي يفوت بها الغرض . ويطول منها المرض . فصبر عليه الى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة وهو آخر مدته . وأول شدته . وأوان انقضاء عدة عدته . وقد رتب على الشقيف يزك يمنع الخروج والدخول . والصعود والنزول . ويضايق غريمه المطول . قبل ان يمتد حصاره ويطول . وحمله جماعة من الامراء ووقفوا به ازاء حصنه . فناداهم في درك امره . وفكاك رهنه . فخرج اليه قس قاس . بأسر عن باس . فحادثه في حادثه بلغته . ونافثه في كارثه بغلته . وتحاورا في السر . وتشاورا في الشر . وكأنما امره بالتجلد . وصبره على التشدد . وعاد القس الشقي الى الشقيف . وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف . فقيد وحمل الى قلعة بانياس . وبطل الرجاء فيه وبان الياس . ثم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه . على

ان يبلغ المراد في شقيفه . فلما لم يفد خطابه . ولم يجد عذابه . سيره الى دمشق وسجنه . وألزمه شجاه وشجنه . وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الأربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن . ورتب له عدة من الأمراء . وامرهم بملازمته في الصيف والشتاء . الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم . وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال وماكان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الأسر ، وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر . وقد تواصلت الينا امداد البحر . فثربنا للثار ، وأعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور . وفارقوا بالاستطالة القصور . وجرت بين المركيس المقيم بها وبين الملك مراسلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد . ولج معه في اللدد . واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الأمر . ويصله من الأمر . ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المركيس . ويدوم منه لملكهم التأسيس ولملكهم التأنيس . وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم . يتساعدون علي رم ما تشعث من احوالهم . ويتعاقدون على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل . ويقيمون عليه بالذوازل اقامة المنازل . والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . وبجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الغى الي هذه الغاي . وشرعوا فيما شرعوه . وفرعوا ذروة الأصل الذي فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى

الاولى من اليزك . ان جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعترك . وانهم على قصد صيدا الحصر . وقد جسروا على عبور الجسر . فركب السلطان في الحال فيمن خف من ثقال الرجال واقتال القتال . وأطلاب الابطال . وانجاد الاجناد . واجلاد الجلاد . والباذلين المهج للجهد في الجهاد . ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ . والسيل قد بلغ . والصدمة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والثورة قد اثارة . والسورة قد اسأرت . فان اليزكية لما شاهدت جاهدت . وتعاقدت علي لقائهم وتعاضدت . وخالطتهم . وباسطتهم . وواقحتهم وواقعتهم وجالدتهم وجاولتهم وحاردتهم وحاولتهم وردتهم مفاولين مخذولين . وصدتهم منهزمين مثلومين . وقسرتهم وكسرتهم واسرت سرائهم . وبزت بزاتهم . وقنصت عقبانهم . وقصمت شجعانهم . وصادت صيدهم وفرست فرسانهم . ووقع في الاسر من سباعهم سبعة . وغودرت للنسور من اشلاء المارقين بالمازق شبعة . واستشهد من المماليك الخواص ايبك الأخرش . وقد كان شهما بالوقائع يتحرش . وثبتا بالروائع لا يتشوش وانيسا بالحوادث لا يتوحش . وكميا كميشا بالكوارث لا يذكمش . وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان . وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان . وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليزك . وقال لعلهم يعودون الي ذلك المعترك . فنستدرك ما فرط من استئصالهم واجتثاثهم . وقد ندم الفرنج على ما ندر من اجترائهم وانبعاثهم . واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر . والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر . وركب في ذلك اليوم . ليطلع من الجبل على القوم . ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه . وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه . ثم ظنوا ان وراءه عسكرا في الكمين يحميه . ونفذ السلطان بعض الأمراء الى الغزاة الرجالة ليعودا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فأسروا وقتلوا . وختمت بشهادة اولئك السعداء تلك العشية . ونفذت من الله في استشهادهم

المشية . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة اردتهم وردتهم . وصدقهم عن الجرأة وصدتهم . وتزاحموا على الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا ولنا . جنى المنا واجنى املنا . وللحرب رجال . والحرب سجال . ولم يكن لأولئك الغرباء بقتال الفرنج دربه . واقدامهم على العدو له قربه . فخاضوا من الدم في اللجج . واعتاضوا الجنة من المهج . وممن لقي الله بالشهادة . وختم له بالسعاده . الامير غازي ابن سعد الدولة مسعود بن البصارو . وكان شابا لنار الحرب شابا . ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تم من الغزاة . انقض في اصحابه على الفرنج انقضاض البزاه . فدعته جنته . الى طعنة لبتها لبته . فاحتسبه عند الله والده . وكدرت عليه موارده . وأوجد جمعنا الأسى على فقد ذلك الواحد . وساء عدم الساعد . وبتنا نشكر مساعي ذلك المساعد . وضاقت القلوب . وفاضت الكروب . وألم البوس . وألمت النفوس . وهذه وقعة ندرت . وواقعة بدرت . ونذير حدث وحادثة انذرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذ اصيبوا غير هذه الكرة . واذاقونا بعد أن حلا لنا جني الفتوحات مرارة هذه المرة . فايقظتنا من رقدة الغرة . وأخذ الناس حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا وعد الله حيث قال : (فيقتلون ويقتلون) (التوبة ١١١) وعباده هم الذين يتبعون امره ويمتثلون . ثم قويت عزمة السلطان على قصدهم في مخيمهم . وكبسهم في مجثمهم . وعبور الجسر اليهم . والاحداق بهم من حواليهم . وشاع صيت هذا العزم وصوته . وسارع الناس الى موسمه . وخشي فوته . وتسامع اهل البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . فتباشروا وتبادروا . وتسابقوا وتسارعوا واتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل واد . وجالوا في كل بقاع ووهاد . ووافت مطوعة دمشق وحوران . يجرون الى مر الموت . ويجرون المران . وتوافد من بالمرج والغوطة . على الحالة المغبوطة . وقالوا هذا اوان احضار الضوامر المربوطة . واجتمعت بمرج عيون . جموع مرجت العيون . فخافت الفرنج من هذا الجمع . وانافت على القمع . وتعكست الى سور

صور . وعاين اولئك البور البثور . وتحرزوا وتحرسوا . وتـوجلوا وتوجسوا . فاقتضت الحال تأخير قصدهم . ليتمـكن على غرتهـم حشدنا من حصدهم . وعاد العسكر الى المخيم وسار السلطان الى تبنين . صـــبيحة يوم الخميس الســـابع والعشرين . لتفقـــد احوالها . وتأمل اعمالها . وعرض رجالها . ثم سار منها الى عكا جريدة . ورتب في عمارتها وولايتها احوالا سديدة . ووصى رجـالها بالاحتياط والتحفظ . والاستظهار والتيقـظ . واسرع عودتـه الى المعســكر . عظيم المفخـــر كريم المعشر . مـــــوفق المورد والمصدر . مقرظ المنظر والمخبر . وأقام الى يوم السـبت سـادس جمادى الآخرة . وبحر مخيمه يموج بامواج العساكر الزاخرة .

ذكر ما تم من استشهاد عدة من امراء العرب

وانتهـى الينا ان الفـرنج ينتشرون في الأرض . وينبسـطون في مـوضع القبض . ولايتحفـظون في الرفـع والخفض . ويحتـطبون ولايحـــاطون . ويحتشـــون ولا يختشـــون . ويجذون ثمـــار الحيل . ويجذون على ما يصادفونه باذواع الغيل . وهم في غرة مـن غاره . وفي جسارهم تعـود عليهـم بخسـاره . وفي غفلة تجـر عقله . وفي ضله ترفع عليهم من العـذاب ظله . وانهـم اذا خـرجوا للاحتشاش والاحتـــطاب . وانتشروا لضـــم الاعشـــاب مـــن الشعاب . خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد . وتحفـظهم مـن متعد . ونفذ السلطان الى خيل تبنين . وامرهم بأن يصبحوا اولئك الملاعين . فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصـلت بهـا الكمين . وذلك يكون في صـــباح الاثنين ثـــامن الشـــهر المذكور . وواعدهم على هذا السر المستور . ونفذ الى عسـكر عكا ليكمن في موضع عينه . ولا يظهـر مـكمنه . حتـى يكون مـن وراء القوم . مستعدا لما ينالهم من الوقم . وسار السـلطان ليلة الاثنين على الموعد . مصدقا للمقصد . وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت وابرت وابارت . فعبر تبنين وكمن بين صور وبينها . وعين اليزكية

وأوقظ عينها . ورتب ثمانية اطلاب من الابطال . وكمن بتلك الارجاء كماة الرجال . وانتخب من كل طالب عشرين فارسا اجوادا على الجياد .واجلادا في الجلد على الجلاد . فامرهم بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهم يفرون قدامها . ولا يقرون امامها . ويجذبونها الى قرب الكمين ويوقعونها عليه . ويواقعونها اذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به امروا . ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وانفوا من ان يقال عنهم فروا . بل جالوا فيهم وكروا . واتصل القتال واشتد . واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح . وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البرى . ودارت عثرات الثرى . وانحلت عرى اللمم .وانحطت ذرى القمم . وعدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره . ودام نهارنا يجري بانهار الدم انهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاسد قد اعتركت . وان البرك قد ارتبكت وابتركت . فتواصل انجادا للانجاد . وتراسل امدادا بعد الامداد . فلما رأى العدو ان المدد يكثر والعدد يكثف . وان عساكرنا لا تتوقى ولا تتوقف . صمم العزيمة . على الهزيمة . وعلم ان النجاة عين الغنيمة . فثنى اعطافه . وضم اطرافه . ورد احلافه . وجرت بين الفريقين مقتله . عادت ارض المعركة بها وهي مثقلة وكان قد حمل العرب على وعد العود الى الكمين . والرجوع الى أسد ذلك العرين . ولم يكن لهم بالطريق خبرة . ولا عبرت من الطوارق بهم عبره . فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له نفاذ . ولا لسالكه الى منهج ملاذ . ورآهم العدو فعدا وراءهم . وسار بجمعه ازاءهم . فلما انتهوا الى الجبل ادركوا . ولم يقدروا ان يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . واقبلوا على الله فقبلوا . وهم الامير زامل بن تبل بن مرى بن ربيعة امير الذقره . وسري الاسره . والامير حجي بن منصور بن دغفل بن ربيعة . والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرى بن ربيعة وآخر معهم . فهؤلاء أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع . وقدر لهم في رياض النعيم رتوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز

الفاني الى الباقي من العز . وكان معهم من المماليك الخواص . من ذوي الجد والاخلاص . تركي عربي النخوة . غضنفري السطوة . فلما حصل في المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بنحوه . ونثل بين يديه كنانته . فارعا لذروه . وقد اوتر قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن الى منيته من حنيته . واصاب منيته من اصماء العدو في المصاب بامنيته . فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا قربه . ومازالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه قضى نحبه . فأصبح . وقد نزف دمه ، وترجح على وجوده عدمه ، ولما قيل انه استشهد وطلب ليلحد ، رمق وبه رمق ، وهو في دمه غرق ، فحمل على أنه من الأموات ولم يرج له فوات الوفاة ، فأحياه الله بعد ان اماته ، وجمع أعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته ، وأنشأه خلقا جديدا ، وأوجده في أجله مزيدا ، وهو أيبك الساقي زاده . ماجرى اجتراء على الاقدام ، واجراء الى مضمار الحمام ، فما سمع بعد ذلك هيعة الا طار اليها ولاأبصر للكفر ضيعة الا أغار عليها .

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها

وصل الخبر يوم الأربعاء ثامن رجب ، ان العدو قد ركب ، وأجلب بخيله ورجله ، وطار بجراد جرده . ودب دباه في رجله ، وسرحت ذئابه ونجت كلابة ، وجاش عرام جيشه العرمرم ، وطاش الى أهل الجنة بأهل جهنم ، وذوى القرب من الذواقير ، وأضرم بنار السعير مساعي المساعير ، وهو على قصد عكا يجري الى المدى برأي جمعه المدامير ، وأن نفرا منهم نفر ، وسبق الى الذواقير وعبر ، ونزل باسكندرونة ، واستباح طرقها المصونة ، وهناك من المؤمنين رجال يجمون طرف الثغر ، ويضمون نشر الأمر ، ويصمون نحر الكفر ، ويجبون غارب

الشر ، ويجوبون جانب البحر ، ويطوفون للحراسة ، ويطاولون بالحماسة ، فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها وعاقروها وقارعوها ، وأهلكوا عدة وملكوا عدة ، ولما تكاثرت أعداد الاعداء ، استظهروا بالانكفاء عن الأكفاء ، وتدافعوا بعدما دافعوا ، وتراجعوا بعد ماراجعوا ، واطلع السلطان على خبرهم وعرف ذفور نفرهم ، فكتب الى العساكر الدانية بالدنو ، وللعدو على العدو فتوافدوا للميعاد ، وتوافوا للاعتضاد ، وتوفروا للجهاد ، وتوافقوا في ابناء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الأحد ، وافية المدد . وافرة العدد ، ونزلت على عين بصة ، ولقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المغتصة.

ووصل اوائلهم الى الزيب . واجابوا داعية الصليب ، فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل . وكان النقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحة في الاودية جري السيل ، وسرنا على جب يوسف الى المنية ، آخذين بالحزم تاركين للونية . وجئنا عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ، ثم اصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الغروبة . واطلع منها على الاسرار المحجوبة ، واشرف على العدو النازل ، ودنا حزب الحق من حزب الباطل ، وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هونين ، وللفرنج مقابلين مقاتلين ، فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم ، ونزلنا في ارض صفورية بالاذفال ، وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال ، وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رأيه بذور فطنته وطيب فطرته أذكى وأزكي ، ان يسايرهم في الطريق ، ويواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ، ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صعب نزالهم ، واتعب قتالهم . واذا ذبتوا تعذر حصدهم ، واذا ثبتوا تعسر قصدهم . واذا لصقوا ببطن الأرض صاروا كالقراد ، واذا خلقوا في جو الدو طاروا كالجراد ، فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له بل نستقيم على السنن

القويم ، ونطالبهم طلب الغريم ، ومأهون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا أقبلنا ، والطريق قبالتهم وعر ، والمقصر عن التطاول فيه عذر ، فنمضي على اسهل الطرق ، ونسد فلقهم بالفيلق ، وتبين لنا بالعافية ان الرأي السلطاني كان أصوب فان نزالهم عند نزولهم صار أصعب ، ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر ، محتاطين بالانحصار . محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصلبة ، وربطت مراكبهم بشاطىء البحر فكانت كالآجام المؤتشبه ، وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا بعثا دخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو ، حتى استظهرت بقوتها . وقويت باستظهارها . فلما اجتمعت العساكر . واتصلت بالاوائل الاواخر . كي جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا ، وسار بهيأته وهيبته ، وانزل العسكر على تعبيته ، ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصة ، وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقناصه ، وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب ، فدارت رحى الحرب ودام كر الكرب ، وطاب طعم الطعن والضرب ، وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب ، ووافى للأنجاد عسكر الشرق ماضي الغرب ، وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين للمكابرين ، قد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط ، واستشطنا منه وهو مستشيط ، واحدقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها ، ورتبنا بالزيب والذواقير رجالا يصدونهم عن سبلها ، ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم ، ونراوحهم ونغاديهم ، ونعاودهم ونباديهم ، ونقدم بعواديها على عواديهم ، ونصدهم ونصدمهم ، ويوجدهم البحر ونعدمهم ، ومازالت مراكبهم تتواصل . ومناكبهم تتطاول ، وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون ، متراذفون مترافدون ، قد لفعوا وجه البحر بنقب السفن ، وجذبوا بالقلوس على ثجبه عران الرعن ، والقوا على تياره بسط البطش . وحملوا على البحر أوزار النجس . وتبالهم وتعسا . فانهم زادوا على

رجسهم رجسا ، وبقي القتال بينهم وبين اليزكية ، كل بكرة الى العشية ، الى أن وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ، ومظفر الدين كوكبوري الأسد الغضنفر ، فاستظهرنا بهما وبعسكرهما الدهم ، ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم ، واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز ، ومنعوا من الدخول والخروج ، ولج اولئك العلوج في ضبط طريق الولوج ، وذلك في يوم الأربعاء والخميس آخر رجب لانسلاخه ، والاسلام يناينا باستصراخه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته ، واستقلت آياته ، وعز عزمه ، وعلا حكمه ، ومامنا الا من اسرج الجرد وجرد السريجيات ، وعاج بالاعوجيات . واشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال الرديتيات ، ورديان العقيليات ، وأزكى المذاكي وقرب المقربات ، وقد سن سنان لدنه ، وجن جنان قرنه ، وساف سيفه ردع الدم ، وضاف جوده مضيف العدم ، واقبلنا والنصر مقبل ، والظفر متهلل ، والميمنة والميسرة باليمن واليسر ممتدتان ، والقلب له من التأييد والتمكين جناحان ، واتفقت الآراء واجمع الأمراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعة ، ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده ، واجماع الألسنة والقلوب في الضراعة الى الله في نصرة المجاهدين من عباده ، وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم ، وكدر عليهم صفو مشاربهم ، وفل مضاء مضاربهم ، وهم في مواضعهم واقفون . وعلى مصارعهم عاكفون ، وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطئهن ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل ، وكالحلقة المفرغة ماإليها مدخل ، وكالسور المحيط ماعليه متسلق ، وكالجبل الأشم مافية متعلق ، فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم ينزحوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ، ودامت الحرب قائمة ، وديمة الدم دائمة ، وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه ، وخلف نظامه حتى دخل الليل وحجز ووعد النصر مانجز ، وحزب الحق ماعجز . فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما امسوا . وزادوا على ماجرى امس

واهلوا عنه وأنسوا ، فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس الظهور ، واصبحت شمس الجمهور ، واستضاف نورها مستفيض النور ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ، كانت لمن قدامهم من الفرنج مبيدة ، وفرشوهم على تلك التلول ، وردوا مضاربهم من فلهم بادية الفلول ، وانهزم الفرنج الى تل المصلبة نحو القبة ، وثبتوا عند الوثبة ، وأخلوا ذلك الجانب ، وخلوا تلك المذاهب ، وقلعت خيامهم . وقطعت أطماعهم عنها ، وانفتح لنا طريق عكا . ودخلها الرجال .وحملت إليها الغلال ، ونقلت اليها الأحمال ، ودخل العسكر اليها وخرج ، وانشكف ضيق حصرها واطلع السلطان على الفرنج من سورها ، وشرع في تدبير أمورها ، وخرج عسكر البلد للموازرة على قتال العدو العادي ، وترك الهوادة في قصر القصر ، والهوادي والفرنج قد رهبوا ، ولو قدروا هربوا ، ولكن اصحابنا رأوا أن انفتاح باب البلد غنيمة ، وانهم أي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة . ومن العدو هزيمة وتوقفوا على الاتمام ، وتقدموا عن مقام الاقدام ، ولو أنهم استمروا في الحرب على هيأتهم وهيبتهم ، لباء الاعداء لنجحنا بخيتبهم ، فان الصدمة الأولى اخافت وحافت ، ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت ، ولكننا تركناهم حتى عادت اليهم الأرماق ، وعاود فرقهم الافراق ، وابصروا مابين ايديهم وما خلفهم . وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم . واثبتوا في مستنقع الموت ارجلهم . ورأوا أن الوقت قد أمهلهم . وقال أمراؤنا هؤلاء قد سهل امرهم ، وخمد جمرهم ، وقد حص رياشهم حصرهم ، وهم في قبضتنا اي وقت اردنا ، ولقصدهم تجردنا ، وقالوا نصبر الى الظهر ونمضي ونسقي الخيل ونعود وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود . فانصرفوا على وعد العود ، وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود . وبلع العدو ريقه ، ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه ، وضم عن الانتشار راجله ، وزم رامحه ونابله ، ووقفوا كالسور من وراء الجذويات والتراس والقنطاريات ، وقد صوبوا الجروخ وفوقوها ، وجمعوا العدد وعلى الرجال فرقوها ، كأنهم في الدروع أراقم ، وفي المجان

علاجم ، وفي النهوض قشاعم ، وفي الضراوة ضراغم ، واختلفت الآراء مع العلم باحتراسهم وتسترهم بتراسهم ، فمنا من يقول نصبحهم بالزحف ،ونزورهم بالحتف ، ويترجل الأمراء فيتبعهم الأصحاب . وتنشب من آسادنا في تلك الخنازير من الذشاب الأظفار والأنياب ، ويتصل الطعان والضراب ، فننسفهم ولو أنهم جبال ، ونطفيء نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال.

ومنا من يقول يدخل راجلنا الى البلد . مستعدا بالاهب متأهبا بالعدد .فاذا زحفنا اليهم . واوجفنا عليهم . خرج من في البلد من العسكرية والراجل . ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالذوازل . فلا تطرف لهم بعدها عين .ولايبقى للدين بعد درك الثار منهم بين . ومنا من يقول لابل نفرج عنهم .ونبعد منهم .فما دمنا على هذه المضايقة والمصابرة .والمحاققة والمحاصرة .والمكابدة والمكابرة .فانهم يتيقظون وينتبهون .ويتحفظون ولاينهون ويتحرزون ويتحربون ويتوجلون ويتوجمون . فاذا ارخينا طولهم واوسعنا املهم . استرسلوا بعدما استبسلوا . واستقبلوا الدعة بعدما ما استقلوا . واطمانوا فطمعوا، واذا ابطأنا تسرعوا واغتروا بانا على غرة فأغاروا .وظهرت لهم اثار ركودنا عنهم فظهروا وثاروا .فحينئذ حينهم يحين ، وشينهم يشين . واذا ظهروا ظهرنا عليهم . ومتي اصحروا اصحرنا اليهم . وان بارزوا بارزناهم . وانجزنا عدة امانينا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول : هؤلاء في عدد النمل . وكثرة الرمل . وظلام الليل . وعرام السيل . فما يقمهم الا العدد الكثير . ولايقمعهم الا الجمع الجم الغفير . والمصلحة ان نستنفر العساكر ونستحضر لابادتهم البادي والحاضر . ونستجيش الحجافل ونستثير الفارس والراجل ونلقاهم بامثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم • وازوادهم عن قريب تفرغ . وامادهم في الصبر تبلغ . ومدادهم تنقطع . وانجادهم تمتنع . وموادهم تقل . وجوادهم تضل . ولراكبهم في الشتاء شتات . ولحبائلهم وحبالهم انبتات ، فاما ان يضطروا الى الانفصال . واما ان يؤذن فناء ارزاقهم بحلول الاجال . ويهون علينا

حربهم في تلك الحال . (وكفى الله المؤمنين القتال).(الاحـزاب ٢٥)
فهذا عسكر الاسلام . وجند مصر والشام . وفي الاقدام به خـطر .
وفي المباشرة بحربه غرر . والمصـلحة العـامة تلحـظ . ورأس المال
يحفظ ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل ونستدفع بحقها
الاباطيل . ونستكثر من مراكبها . ونسـتعدي على هـذه الافـاعي
بعقاربها . ونستطيل على الشناة المستطيلة بشوانيها . ونعـدو على
عوادي الاعادي بعواديها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحـر .
وصلت لنا اسباب النصر . وحينئذ نقاتلهم برا وبحـرا . ونوسـعهم
بمضايقتهم فيهما قتلا واسرا . ومازالت هذه الاراء بيننا متـداوله .
وخواطرنا في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفـرنج جـاريه
وزناد الهيجـاء لاشـعال نارهـا واريه . وفي كل يوم نتصـافح
بالصفاح . ونتكافأ بالكفاح . وننطق فيهم بـكلام الكلوم . ونلحـق
منهم الموجود بالمعدوم . والطلائع وقائع . والسهام افـواق فـائقة .
والحمام اسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسري وتـأسر .
وتبري وتأبر . وتكبس وتكسب . وتسبي وتسلب . والسلطان يباشر
ذلك كله بنفسه . وهو يدأب في يومـه لغـده مجتهـدا في الزيادة على
امسه نائبا عن اعوان المسلمين وانصارهم . ساهرا لهـم في ليلهـم
قائما بـأمرهم في نهـارهم . والعين السـاهرة في سـبيل الله
قريره . وتعب يوم واحد لله في اليوم الاخر نخيرة

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان

وركب الفرنج اخر يوم الاربعاء سادس شعبان بأجمعهم . وتقـدموا
من موضعهم . واشـتاقوا إلى مصرعهـم . وفـارقوا الحـزم في
تسرعهم . وخرجوا عن رجالتهم . وتجردوا بخيالتهـم . وحملوا على
الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد . فتحرك الصف الثـابت
الساكن امامهم كالبنيان اذا تحلحل من القـواعد . وتـراجع عنهـم
المسلمون استدراجا . وملأت الارض السماء عججا وعجاجا . وزخر

بحر الحرب على أمواج امواجا . فما قربوا من خيام اليزك . الا وقد اعتكر جو المعترك وعساكرنا قد أوجفت عليهم . وزحفت إليهم . وأردتهم بعقابهم . وردتهم على اعقابهم ووصلت الى رؤساهم فقطعت رؤوسا والحف بأسها ذلك الجمع بؤسا . وشت وجه الكفر عبوسا . وولوا مدبرين . وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر عاثر . والذمر الباسل باسم بالموت باشر . فلما جن الليل رجعت بما جنته الخيل . وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ . وهمة متنبهة للتحفظ . وحراسة وحماية . وسياسة ورعاية . فلما اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقاء . وهاجوا بعادیتهم الى الهيجاء . هذا وابواب البلد مفتوحة . والصدور بطروق الظهر اليها مشروحة والفرنج قد ندموا على ماقدموا . وعدموا بصيرتهم بما صدموا . وعادوا لايفرطون ولايتورطون . ويذقبضون ولاينبسطون .

ذكر وفاة حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل العياضية . ليكون به في الجهة المرضية . فان هذا التل بازاء تل المصلبه منزلة العدو . وهو مشرف عليهم للعلو . وضربت خيام الميمنة ممتدة الى البحر ، وخيام الميسرة الى النهر ، واتسع مجالنا وضاقت الدائرة على الكفر . وكان الامير طمان صاحب الرقة مريضا ولم تزل وجوه الايام الغير في سبيل الله باحمرار بيضه بيضاء ؛ وهو الحسام الفاضل . والهمام الباسل . والقرم البازل والندب الحلاحل . والمحترق لحمية الدين . والمقترح لحماية المسلمين . ولما وافت وفاته . وفاته رجاؤه ولم يرجأ فواته . أسف على عمره . وأسي على أمره . وحزن كيف لم يقتل شهيدا . ولم يستشهد في الجهاد سعيدا . وقال:قدموا حصاني حتى اشهد الحرب واستشهد ، واجاهد الى ان اقتل واجهد ، فاني ارى موتي على الفراش عبثا . وقد عرفتم مني شجاعة لاجبنا ، وتوفي عصر الاربعاء

ثالث عشر شعبان ، وبواه الله الجنان ، وبشربه رضوان . وكان قد توفي بالقرب الامير الندب . فارس الحرب . ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب . حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتجب فنبت مضارب الدين باغماد الحسامين . وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين ، فوجمت النفوس ، والمت القلوب وفاضت لغروب فيضها الغروب .

ذكر واقعة للعرب . أربت لنا بالأرب

انتهى الينا ان الفرنج . يتطرقون ويتطرفون . ويأمنون ولايتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصلون الى طرفي النهر ، وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العربان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم بتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم الى حمى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم بؤسا ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا . واحضروها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاباء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر . وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتقي وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق . والارواح في مساق ، والمصاع على اتساق ، وكم قتل من حزب العدو واسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزبان ، وكل الغربان . فتوافقا على الامان . وتواقفا يتكلمان . وربما اقدموا ثم نكصوا . وغنوا ورقصوا . واذا لغبوا لعبوا . واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ماجري وغرائبه ، وملح ماتم وعجائبه ، ان الطائفتين في بعض الأيام . ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام ، فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال . وقد فني الرجال ، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا . وليكونوا في

اماذكم وامانتا ، فبرز منهم صبيان . ومن البلد اخـران . فقـاتلوا مليا ، والفوا نار الحرب صليا ، ثم وثب احد الصبيين المسـلمين . على احد الصـبيين الكافـرين . وضرب بـه الارض . وقفـز عليه واذقض . وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا ، فافتداه بعضهم بدينارين . وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين . والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وامارات السعادة الظـاهرة . انه افلت من بعض مراكب الفرنج حصان . له عندهم صيت وشأن . فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربـطه . ومـازال يعـوم في البحر وهم حواليه . حتى دخل مينا البلد وتسارع اصـحابنا اليه . واهدوه الى السلطان ، وعده العدو من امارات الخذلان ، ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان .

ذكر الواقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين مـن شـعبان . وقـد رفعـوا الصلبان ، وزحفت اسودهم في غاب المران . وطارت بهـم خيولهـم عقبانا على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح . وجالوا دون التـل كأنهم له وشـاح . وخـرجوا على التعبيه . وشـفعوا نداء الكفـر بالتلبية . وشفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتـزمين . وعزمـوا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان . وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفـوا اطـلابا ، ودبـوا دبيب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، واجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا ذيول السوابغ الى الغـوار ، وتحـركوا وهـم هضاب ، وتدركوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتـكذف . وتعطوا (٣٣) وتعطف . وتفور وتثـور . وتـرود وتـدور . وتهـم وتهمهم . وتدمدم وتدوم . وقد عبى السـلطان ميمنتـه وميسرتـه ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثـابت . وحـزبه في صـف الحرب ثابت . ورعبه لكبة العدو كابت . وهو يمر بالصفوف . ويأمر

بالوقوف . ويحض علي حظ الابد . ويحث على الجلاد والجلد . ويثوب للوثوب . ويندب الى الندوب . ولما شاهد شروق بروقهم . وخروق مروقهم . وكثافة ميسرتهم . وحشو حشود كثرتهم . انهض رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب . وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح ، وكلما تقدموا تأخر يستجرهم . ويحذر مكرهم ومكرهم . فعرفوا انه لا قبل لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميقات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا القلب وزخر بحرهم وعب . وحملوا حملة ذوي حملة دوى منها الدو . واسود منها وجو الجو . ووصلوا الى جموع ديار بكر والجزيرة . وغاصوا في لجتها بغدران السوابح والسوابغ الغزيرة ، وكانت من القلب الى الجناح للطيران وجبالها على الرياح للجريان فعرفوها بالغر . واستضعفوها لدى الكر . وألموا بها فما ألت . وهموا بها فما همت . واندفعت ومادفعت . وتراجعت وما رجعت . وتعكست وماعكست . وادبرت وماتدبرت . ولكونها غير عارفة بقتال الفرنج هابت وماهبت ولابت (٣٤) ومالبت . ورابت وماربت . وجاؤوا الى القلب وقلبوه . وحاربوه وحربوه وخربوا حزبه . وخرقوا حجبه . وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة . واسنو نحورهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلي بن مروان . وكان مجليا في المروة . والظهير اخو الفقيه عيسى وكان ظاهر الفتوة . واخرون اعترفوا بذنوبهم فرحضوا بماء الشهادة دون حوبهم . وصعدوا الى مخيم السلطان . طامعين في استطالة حزب الصلبان . وكنت في جماعة من أهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على التل نشاهد الوقعة وننتظر مايكون من القوم . وماظننا ان القوة بهي (٣٥) . وان الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم . وباسطونا في المجثم . وكنا على بغال . بغير أهبة قتال . استدركنا امرنا . واخذنا منهم حذرنا . ورأينا العسكر مولیا . والمهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقنا في الاندفاع . والفينا الاستضرار في المال عين الانتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل . ووجدنا ساكنها قد اجفل . فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على شرقية . وكل منا ذاهل عن شبعه وريه . مفكر فيما يكون من امره .

مذكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره . لايألف مبيتا . ولايلفى بيتا ، ممسك بلجام فرسه . قد اذن ضيق نفسه بضيق نفسه . ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق . واقمنا بموضعنا على الخوى والخيل واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير مفارق . والقلوب مرتاعة مرتابه . والادعية الى الله مرفوعة مستجابه . وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده . وعدا جنده وان الكفر حاد فله وفل حده . وان الميسرة ثبتت فثاب اليسر . والاسدية انتصروا فأسد النصر . وكان هذا الصدى يقوى . والصدأ يروى . والبشرى تسري . والبرد بها تجري . والناس بين مصدق ومكذب . وذاهب في مذهب من الظن مذهب مهذب . حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي وقد ورد مورد الظفر الصافي . فنادى أين العماد . فقد جاءه من النصر المراد . فأسرعنا إليه . واجتمعنا عليه . فقلنا ماالخبر . وكيف صفا الظفر (٣٦) . وصفا الكدر . وقدر السلطان وتسلط القدر . والى اين انت سار بالنبأ السار . وفي اية دار تنزل بمنزل النصر الدار . فقال:أنا بشير دمشق بالنبأ العظيم . والخبر الكريم . فقلنا:اهلا بشائر البشائر وطائر الاوطار . والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار . والصديق الصادق . والموفق الموافق . ومرحبا بالخصي الخاص لما مر حيا فحل بالخبر الفحل فحلا . وكم ام للنجح املا وجلا وجلا . فأبنا محبورين مجبورين . وثبنا مثابين مأجورين . وندمنا على ماندمنا في الهزيمة . وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة . ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن مقامه ماانتقل . وقد شل الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجراء حتى اجرى الدماء .

ذكر حصة النصرة بعد صحة الكسره
وكيف ادال الله الاسلام واذل الكفر بتلك الكره

لما تمت الكسره . وعمت الفتره . وكرت الكره . وامـرت تلك المره . وصل جماعة من الفرنج الى خيمـة السـلطان وشـيم مـن عارض اعتراضهم شؤم شيمة الشيطان . وجالوا جـوله . وخـالوا دوله . وصالوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشـياعهم . وعدمـوا اتبـاع اتباعهم . فشرعوا في اندفاعهم . وهابوا الوقوف على اجتمـاعهم . فانحدورا عن التل . وقد جاؤوا بقـوة العـز فـآبوا بضـعف الذل . واستقلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم . وحكموا في رقابهم اسيافهم . وردوهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فأعدوهم . وكان في ميسرتنا عسكر سنجار والاسدية فما زالوا ومازالوا . بل وصلوا وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكأنما مرت بـالجبال الرياح . وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح . وعاد مـن كان مـن الميمنة الاسلامية بالبعد . حاد المضاء ماضي الحد ، مثل تقي الدين . وقايماز النجمي والحسام بن لاجين . ومـن ثبـت مـن أبـطال المجاهدين . فكروا على ميسرة الفرنج فشلوها وانهلوها من دمائها وأعلوها . ولفوها وفلوها . ولقـوها واقلوهـا . ووضـعوا فيهـا السيوف . وأوضعوا اليها الحتوف . واوسعوها قتلا ذريعا .

ومابطأ الوقت حتى صار مقدامها ضريعا سريعـا . فلم يفلت مـن الاعداء إلا أعداد . ولم ينج من الافها الا احاد . وامست لنا الحـرب فراشا . ولارض المعركة فـراشا . وتبعهـا اصـحابنا حتـى كلت سيوفهم وكلوا . وملت لتوتهم وليوثهم وملوا . وفرس زهاء خمسـة الاف فارس من كل ممار ممارس . ومستوحش بالموت انس . وممن اودى في الاقدام مقدم الداوية . ولم تحمه من الحمام ناره الحـامية لنار الحمية . وحكي عنه انه قال:عرضنا في مائة الف وعشرة الاف . احلاف الحاف والاف اتلاف بلا تـلاف فلمـا عجـزوا . وبـالخندق

احتجزوا . وقف عنهم اجنادنا . وبلغ المدى فيهم جهادنا واجتهادنا . ومن العجب ان الذين ثبتوا منا لم يبلغوا الفا فردوا مائة الف . واتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت من المثلثين ثلاثين واربعين . وتركتهم بالعراء عراة مصرعين . ولا شك ان الله انزل المسومين . وكل يتحدث بعد ذلك مما شهده . ويعهد الينا بما عهده . وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف . ماله منة سير ولا وقوف . وانا منهزم من فارس مدجج . في بحر الحرب ملجج . وهو على جبل يجري به جري الريح . وينادى بشعار المسيح . وقد لز بقربي حصانه . وهز لصلبي سنانه . فما شككت انه يشكني بلهذمه . ويفكني بمخذمه . وايست من البقاء . وانست الشهادة واللقاء . واستعذت بالله واستعنت . وتشاهدت مما شاهدت . ثم ابطأت على صدمته . واخطأتني حدمته . فالتفت فاذا هو وحصانه ملقى كلاهما. وما وجدت بالقرب احدا اقول انه ارداهما . فعرفت انه نصر الهي . وصنع رباني في مذاق الايمان شهي . وفي افاق الاحسان بهي . فايقنت ان النصرة ماملكت ، الا الملائكة نصرت . وان الظهور ماسر الا لاسرار لله ظهرت .

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الألطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها . وشكر الطاف الله الخفية وابداء سرها . ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها واشاعة نشرها . وذكر فيها ماالفرنج عليه من اجتماع راجلها وفارسها . والاحتماء بخنادقها ومتارسها . وان لنا كل يوم فيهم ذكاية بالغه . وسطوة دامغة . وثعالب عوامل في دمائهم والغه . ومضارب مناضل لرؤوسهم فادغة . ونيوبهم عواسل ماضغهم ماضغة . ونيول نقم عليهم في تقليص ضلالهم سابغه . وايدي ايد لصفحات البيض بنجيعهم القاني صابغه . وضمائر وضوامر عن كل

شغل سوى شغل الجهاد فارغه . وهمما وعزائم لاترى عن وقم القوم اهل الزيغ زائغة . ومابرح الفرنج في برح شديد . وامر غير سديد . وظل الذل مديد . وضيق حصر في كل يوم جديد جديد . حتى ضاقت انفسهم واذفاسهم واخفق رجاؤهم . وظهر يأسهم ووقع بينهم بطول المقام باسهم . فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في اللقاء . ويهجيون الى الهيجاء ، ويلقون الالوف بالالوف . ويصدمون الصفوف بالصفوف . ويعرضون نحورهم ووجوهم على الاسنة والسيوف . ويكسفون بشبه التثليث ادلة التوحيد . ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد . والحد الحديد . وبرز ذلك الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان . ورفعوا الصلبان واشرعوا الخرصان . واتبعوا الشيطان . ورتبوا الرجال . وطلبوا الفرسان . وحملت لهم اطلاب تضم ابطالا . وتضمن بباطلها الحق ابطالا . وتأمل لشملها المتفرق اجتماعا . وترجوا الصليب السليب ارتجاعا . وعصفت رياحها الهوج . واقبلت بحار سوابحها وسوابغها تموج . وكاد ان يثبت للشيطان قدم ، ويراق للايمان دم . فانها خرقت حجاب الصف . وفرقت شمل الجمع الملتف . وزاغ جنان الجبان وهمه وهمه . وادبر موليا وعزمه زعمه . فظن من لايقين له ان الاسلام قد اسلم . وان نصر الله الموجود قد عدم . وان الكفر المتأخر قد تقدم . وان الصبح المتبلج قد اظلم . وهناك عرف اهل الثبات . وثبت اهل العرفان . ورقصت المران على اشاجع الشجعان . والتفت العنان بالعنان . والتقى السنان بالسنان . وخطبت الصوارم على منابر الطلى . ورتعت الهاذم في كلا الكلي . وفتحت اليفالق مغالق الحتف . وزحفت الفوارس الى فوارس الزحف . وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب . ووصلت ضرب الاعناق بقطع الرقاب . ومازالت تشل الفرنج وتفلهم . وتحل بعقدهم الوهن وتحلهم . وتروي ظمأ الظبا من ورد وريدهم . وتخضب شيب البيض بدم طريدهم . حتى فرشت بعد ان سلبت اشلاؤهم بالعراء عريا . وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع اجراء ولم تطق جريا.حتى تذللت وتلثمت بنجيعهم صفحات الصفاح . ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . واعرب

حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح . وقتل من مقدميهم ومقدمي مقدميهم زهاء خمسة الاف . زهى الاسلام بما اتسع من عطن عطبهم . وحسن منقلبه بسوء منقلبهم . وعاش بما شاع من قتلهم . واشتغل العسكر المنصور بشغلهم . وطاب القلب المهموم بما تم من مأتم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدى متن الضلال المتين . وهمت الرواعف الفوارع بحمل هامات الحاملين . وانجلى الغبار عن كل قتيل مالعاثره من مقيل . ولالقائله من مقيل.وعادت اعلام الاسلام ظاهرة . وأيمان باطنة قاهرة . وهدي الهدى على النصر مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمي مكفوفة . ولم ينج ممن حمل من حمل رأسه . ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاءه . ووجد يأسه . وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف واصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف . وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحتوف . ودخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حواليهم . وهم وان وهنوا لما اصابهم من الكسره . واخطأهم من النصره . وحل فيهم من الرزء . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء . وفجع كلهم بالجزء . ونقص منهم العدد الكثير . وركد من ريحهم ذلك العاصف المبير . فانهم في حشد كالدبى . وجمع اغص الوهاد والربا . وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحبا . وودوا لو وجدوا مهربا . وتفرقوا ايدي سبا . وقد عادوا وتحصنوا وتصبروا . وتخيروا المقام على الحين حين تحيروا . واوسعوا الخنادق وعمقوها . واحكموا المتارس ووثقوها . وندموا على الحركة . فانها افضت بهم الى الهلكة . وانهم مادامو رابضين . وعلى يد الصبر قابضين . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهم ، وتطول ايام الاحاطة بهم من حواليهم . وفي تلك الحركة التي حلا بها للشجعان طعم الطعن . وغلب فيها الجبناء وهم الوهن . وتجافى عن الثبات من محبي الدنيا جنب الجبن . ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب واختار المتسللون المتفالون منهم البعد على القرب . وماثبت الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سديد ساد للثغور . ومجاهد الدين يرنقش قد صدق نعته بالمجاهدة للدين . وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا

يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرباء هابوا . وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا . والفرنج الان في ذل وخسر . وفي عسر بغير يسر . وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن اخرهم . وتحريك همم المؤمنين في تسكين سائرهم . وتخريب عمرهم وعامرهم . وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم . ومادام البحر يمدهم . والبر لايصدهم . فبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بادوائهم واسوائهم ملازم . وتدبيرها الان في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم في ورطة الوقوع . فأين حمية المسلمين . ونخوة أهل الدين . وغيرة اهل اليقين . وما يقضي عجبنا من تضافر المشرك على شركه . وتظاهره في اتساع مسلكه واتساق سلكه . وقعود المسلمين وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاقدهم . فلا ملبي فيهم لمناد . ولا موري منهم في اجابة داع لزناد . فانظروا الى الفرنج اي مورد وردوا . واي حشد حشدوا واية شالة نشدوا . واية نجدة انجدوا . واية اموال غرموها وانفقوها . وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم . ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم واكابرهم . الا جارى جاره في مضمار الانجاد . وبارى نظيره في الجد والاجهاد . واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح . وامدوا اجناسهم الانجاس بانواع السلاح مع اكفاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا . ولا بذلوا ما بذلوا . الا لمجرد الحمية لمتعبدهم . والنخوة لمعتقدهم . وليس احد من الفرنجية يستشعر ان الساحل اذا ملك . ورفع فيه حجاب عزهم وهتك . يخرج بلد من يده . او تمتد يدإلى بلده . والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا . وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة . وعدموا الغيرة . ولو اذنى والعياذ بالله للاسلام عنان . او خباسنى ونبا سنان. لما وجد في شرق البلاد وغربها . وبعد الافاق وقربها . من لدين الله يغار . ومن لنصرة الحق على الباطل يختار . وهذا اوان رفض التواني . واستدناء اولي الحمية من الاقاصي والادانى . على انا بحمد الله لنصره راجون . وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون . والمشركون بانن الله هالكون . والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من الحذر فصد عن قصد المباكرة لمناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضاء . وزادت مشاربه من مادة الصفاء . وامر بمواراة الشهداء . ومن جملتهم الفقيه ابو علي بن رواحه . وكان غزير الفضل قد اكمل الرجاحة والسجاحة . وهو شاعر مفلق . وفقيه محقق . من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق . فطرفه الاعلى يوم مؤته مع جعفر الطيار . وطرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار . ومنهم اسماعيل الصوفي الارموى المكبس . وكان سديدا عفيفا عاريا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس . ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلام في الخزانة امين على البيت وآخرون صودفوا عند التل فجاءتهم السعادة . وفجأتهم الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة . وذهب قبل الرجعة . واجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب ارواحهم السوم . وقال هؤلاء قد اضعفنا قوتهم . واعجزنا قدرتهم. وفثأنا سورتهم . واخمدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وادوينا داويتهم . فان تركناهم بلعوا الريق . وبلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق . فنحن ذوا فيهم غدا . وذوفيهم ردى . وذكيلهم بصاع المصاع . ونذرعهم بباع السباع . وذقيهم بذراع اليراع . وذوسعهم قرى القراع . وننيقهم حر الحرب ، وذسقيهم في طعم الطعن شرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهام سهاما ، ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم اجساما . ونغرقهم بماء فرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . وذوجد من عدمهم النصر ، ونطيب من نتفهم الذشر . ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم آخرهم . فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم . واجراء هذا الحكم . تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب . وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها . واوباش الجمع وأوشابها . ظنوا تلك الفورة هزيمة . فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمة .

وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من اهل الجد . فمن عاد الى رحله وجده منهوبا مسلوبا . وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوبا فمضوا وراء الغلمان . وبلوا بسوء دين السودان. واصبحنا واذا العسكر غائب . والعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والامن فرق . والغني معدم . والجريء متندم . فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب . وهذا لمن طلب الطريق باثقاله طالب . فتفتر ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المدة . وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا شغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم . وبنت ما هدم فكمل بالمدد . ما نقص من العدد . ولولا ان الله تعالى قدر بقاءهم لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمكنت . والحصة تعينت . والجو خال . والضو عال . والحال جميلة والجمال حال . فقضى الله بما قضى . وعرانا المضض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منبتة مبتته . وتلك الجثث محينة مجتثة . تعرفنا ان نشورها من حواصل النسور . وان قدرها بطون الضباع والنمور . فشكونا نتن رائحتها . وشكرنا يمن جائحتها . فعجل السلطان حملها على العجل الى النهر . ليشرب من صديدها اهل الكفر ، فحمل الى الماء اكثر من خمسة الاف جثة . بعثت الى النار قبل يوم البعثة ، فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى من اقبل بمن ادبر . وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر .

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل واستدراك ما حزب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامراء . بعد النداء واعلام الجهلاء ، باحصاء كل ما نهب . واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى . واعتدي عليه بمثلما اعتدى . فاحضر كل ما

عنده وبذل في الكشف جهده . وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان . وضاقت عن كثرته سعة ذلك المكان . وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع يقين من شعبان . فكل من عرف من ماله شيئا اخذه بعد احلافه . وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافة . وسعى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه . وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقة . وقمش ذلك القماش . وحصل من ذلك الوبل الرشاش . وصح بعد العري والعشار الارتياش والانتعاش . وكتب الى الولاة بالامصار والنواحي . والاقطار والضواحي . بحث البحث وجد الكشف . واستخلاص كل مايوجد ويؤخذ بالرفق والعنف . وتراجع الناس . وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم الى مضائها . وقضاة القواضب الى اقتضابها . وغار الآنف وأنف الغيران . وتسلط العزم وعزم السلطان . وثار الحنق وحنق الثائر . وطار العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلى نكاح بنات الخلل الذكور . واشرأب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور . وحمي ذوو الحمية للتقاصي . وقالوا حتى متى التراضي بالتغاضي

ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد فقد

وحضرا أكابر الامراء عند السلطان . يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال إعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله . وأناخ بكلكل كله . وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله . وجمع حشده وحشد جمعه . واستنفد وسعه . وإن لم نعاجل الآن فريقه . والبحر قد منع طريقه . أعضل داؤه . وتعذر غدا لقاؤه . فانه إذا سكن البحر . واستسهل ركوبه السفر . تضاعفت أعداد الاعداء . فظهر الاعدام من الأعداء . وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها . ولا قوة نستحضرها . وما بلي بهذا المعشر إلا معشرنا . وما بازاء عسكر الكفر إلا عسكرنا .

وما في المسلمين من ينجدنا . وما في بلاد الاسلام من يعدنا . وعساكرنا حاضره . وعزائمنا للتواني حاظرة . وعيون أسنتنا إلى الفتك بالعدا ناظره . وما يعوزنا إلا حضور أخينا الملك العادل سيف الدين . ولا بقاء للذقاد إذا أصحر منه ليث العرين . فالرأي كل الرأي في المناجزة . قبل وقوفهم على محاج المحاجزة . ثم قال ليشر كل منكم برأيه . ولايقدم على قول ورأيه من ورائه . فتجاذبوا حبل الاضطراب . واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراب . وركب كل منهم هواه . وأعلن بما نواه . ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الأول . وقد دفعنا إلى الخطب الاعضل والتعب الاطول . والنائب الأعصى والناب الأعصل . وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوما . وما طعمنا في هذه الليالي نوما . ولا سمنا لطارق طيف غمضا . ولا شمنا الا لبارق سيف ومضا . ولكم قذفتنا المنايا وقد دخلنا لهواتها . وكأن أبا الطيب عنانا بقوله . « وكأنما خلقوا على صهواتها » . وقد كلت الضوامر . وفلت البواتر . وملت العساكر . وهذا الشتاء قد أقبل . والعدو قد استقل . والشر قد استفحل . وما يتأتي قلعه الا لمن يتأتى . وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهم بالمصابرة مصابون . ونحن على المثابرة مثابون . وهؤلاء لايتمكن منهم إلا بالجمع الجم . والسيل لايغلبه غير الخضم . والصواب أن نصابرهم . هذه الشتوه . ونستجد لنا ولخيلنا القوة . ونتأخر عن هذه المنزلة . لتحصيل هذه المصلحة المؤملة . ونوكل بهم مناوبة من يمنعهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء العلوج . ونعيد السريجيات إلى سلها والسلاهب إلى السروج . والصواب الأخذ بالاحتياط . وتقديم الكتب والرسل إلى الاطراف والاوساط . ومكاتبة دار السلام . واعلام الأمام عليه أفضل السلام.بما دفع إليه الاسلام بالشام . فان المسلمين لا شك ينجدون . ويقومون بالنصر . ولايقعدون . ولايترك استنفار التركمان . وترغيبهم بالبر والاحسان . واستدعاؤهم بالعطايا . والتشريفات السنايا . ويذفذ إلى بلاد الشام القاصية والدانية . في تحريك الهمم والعزائم الوانية . إلى ان تمتلىء بالجموع ساح الساحل . وتغلى بنار الحميات بها مراجل الراجل . فحينئذ ينتهي أمد المصابر .

ونصمم على المكابرة مع المكاثرة . ونباديهم ونفاتحهم قبل انفتاح البحر . ونغاديهم ونراوحهم على اقتراح القهر . ونذسفهم ولو أنهم جبال . وننزفهم ولو أنهم بحار . ونعدمهم حتى لايطرق جفن بلد منهم خيال . ولايلم بجفن طارق لهم غرار . ومازلنا في مشاورة ومحاورة . ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة . حتى تنخل الرأي وتمخض . وخالوا أنه تبين الصواب وتمحض . ومالوا إلى الدعة . والخروج من الضيق إلى السعة . ومن نزال الحرب . إلى المنزل الرحب . ومن المعترك المعتكر . إلى المبرك المبتكر . فلم تعجبني هذه الحالة . ولم توافقني هذه المقالة . وقلت لعمري أتيتم بمصلحة . ولكنها غير مترجحة . فان الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار . ولم يحدقوا بجميع الأسوار . فإذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخينا خناقهم . وأطلنا إلى مرادهم اعناقهم . وباب عكا من جانب البحر مفتوح . والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبوق مصبوح . والطريق إليها سابلة . والذخائر إليها في كل يوم داخله . والفرنج عن قطع الطريق عاجزه . وعزائمنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصدها محاجزه . فإن تأخرنا تقدموا . وان هونا احكموا . وإن نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا . وإن بعدنا حاموا . ومتي رمناهم تحفظوا . ومتى ذمنا عنهم تيقظوا . وما دمنا نشغلهم فانهم لحصر البلد لايتفرغون . وإلى أمد الأمل لايبلغون . فقالوا هذا أمر هين . وما ذكرناه صواب متعين . ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا إلا أن ينتشروا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فإذا أذسوا بالرجاء،لم ييأسوا من الارجاء . أرخينا لهم حبل الأنظار . حتى استمروا على الانتشار . وحينئذ نصبحهم على غرة . ونعاجلهم كرة بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث . ونصدهم بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبدوه من الرأي الملتاث . لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

ذكر الرحيل إلى الخـــــروبة . عند خيم الأثقـــــال المضروبة .

كان السلطان مع ما ألم بـه مـن الألم . غير مبـد وجـه الملل والسأم . وهـو في كل يوم يركب وعلى العسـكر يطـوف . ويقـف مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر . وعليه أثر الضر مـن الصـبر . فليم على فعله . وخصـه الطبيب بعـذله . فانتقل الى الثقل ليلة الثلاثاء رابـع شـهر رمضـان ، وخلى المنزل الأول وأخلى العســـــــــــــــــــــــــــــــــكر ذلك المكان . وتقدم إلى من بعكا باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتـراس والاجتناب . وجرى الامر على ما كنت قلته . وتحقق مـن الخلل مـا خلته . فإن المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان خاليا . ورخص عنده ما كان من سوم خوفه غاليا . وشرع الفرنج في حفر خندق على معكسرهم حوالي عكا من البحر إلى البحر . وأخـرجوا مـا كان في مراكبهم من آلات الحصر . وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما ظهر مـن أثـرهم . والجـد في تعميق الخندق وتتميم محتفـرهم . والعسكر هاجم . كأنه واجم والظن فيه راجم . وشر الكفر ناجـم . وما فينا لعود الأمر عاجم،وقلت يوما للسلطان يركب العسكر إليهم . ويركض عليهم . فلعله ينال ظفرا . ويقضي من كسر العـدو وطـرا . فقال ما يعمل العسكر شيئا إلا إذا كنت معه راكبا . ولعمله شـاهدا مراقبا . ولقد صدق في مقاله . فانه كان أعرف برجاله . فإنهم كانوا يبذلون معه المهج . ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسـعون لهزم العدو المازق اللجـج . وكان مـن قضـاء الله أنا أغفلناهـم . وأمهلناهم بل أهملناهم . حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من تـرابها السور . وملأوه بـالستائر . ومنعـوه مـــن الطير الطـــائر وبذوه وأسسوه . وستروه وترسوه . ورتبـوا عليه رجـالا . ولم يتـركوا لواغل مجالا . وتركوا فيه أبوابا وفروجا . ليظهروا منها إذا أرادوا خروجا . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر . ونحن نقـول

لامبالاة بهم ولا أكتراث . وما أسهل إذا عزمنا عليهم لأصولهم الاجتثاث . وبسيول سيوفنا نغسل تلك الأخباث . وأي وقت قصدناهم وجئناهم وجأناهم . ونكأنا قرحهم ونكبناهم . وما فوارسهم لنا الا فرائس . وما خنادقهم لهم الا رموس دوارس . وما حفروا الا قبورهم . ومادبروا الا ثبورهم ومتى قصدناهم كذبت ظنونهم مذونهم . وامتلأت باشلائهم خنادقهم . وأظلمت عليهم بغربنا مشارقهم . وبيتتهم بوائقهم وتبت علائقهم .

ذكر رأي رائب عن النظر في الغاي غائب أسفر عن داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب .

وقع لبعض الاكابر فثنى عليه خنصره . ووكل باتمامه سمعه وبصره .

لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة . وضمت أشلاءهم المعركة . وشوهدت على الربا حجب نحورهم المهتكة . وخمدوا وخملوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعاثر . وانهم قد عدموا القرار . وعزموا الفرار . ولو قدروا على النجاة لخلصوا . ولو فتحنا طريقهم ما تصبروا ولا تربصوا . وقال السلطان:ارحلوا عنهم حتى تروا ما يكون منهم . فانهم يرهبون ويهربون . ويبعدون إلى صور ومن بعدها من عكا لايقربون . فمال قوم إلى مقاله . وتخيلوا مثل خياله . وأشار بقطع طريق البلد . والصدر عن ورد الرصد . والجد في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولايعوقهم فانهم كلاب تعوي من التعويق . ولما بلونا رأيه . وتلونا آيه ، أخلف ظنه . وبدا وهنه . ومازاد الفرنج الانباتا ولم نعرف لشملهم على ما توهمه شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي القائل . ونقول ما أعجب قبولنا لقول هذا القائل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث . وتجدد للعزائم من البواعث .

أقام السلطان بالمخيم لاصلاح مزاجه . وايضاح منهاجه . ومداراة ألمه . ومداواة سقمه . فوهب الله له العافية . وكمل له عصمته الكافية . ومنته الشافية . ونعمته الوافية . وأبدى له ألطافه الخافية . وقوي قلبه على المقام . بنية الانتقام . وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع . ويستريحوا في مرابعهم لوقت الرجوع . وأقام في مماليكه وخواصه . ورجال حلقته المنصورة من ذوي استخلاصه . ورتب بالذوبة على الفرنج يزكا ضمنه دركا . وأدار بهلاك القوم منه فلكا . وكان في مماليكه كل مقدم مقدام . وكل همام همام . وكل ليث ذي لوثه . وكل حدث محسن له حسن أحدوثه . وكل ضيغم ضاغم . وكل أسد عرين ليس الاعرنين قرنه براغم . وكل ريبال ذي بال . وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطال . وكل مغير للنصر مريغ . وكل مسييء إلى العدو لكأس الحمام مسيغ . وكل تركي للرماء غير تارك . وللاصماء غير فارك . قوسه في ظفر الهدى مؤتر على الوتر . وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر . وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر . وكل حميدي في الروع حميد . وبالحرب عميد وكل هكاري على القرن عكار . وفي الوغى كرار . وللقنا جرار . وكل زرزاري بالأسد زار . وللبسالة كاس ومن الغار عار . وكل مهراني في القتال ماهر . وللرجال قاهر . وعلى الابطال ظاهر . وكل كمي كميش واكديش . فما خلا يوم من وقعه . وما صار من بارزهم إلا إلى صرعه . وما عاد من نجا من زنابير سهامهم إلا بلسعه . وما حصلت شفاه شفارهم من طلاء من طاولهم إلا على لطعه . وما تبقى على لتوتهم ليت . ولصوتهم في النزال كل صباح ومساء حيت . وبلي الفرنج منهم بالدبير والدبيد . واعتاق بهم مراد العدو والمريد . ومازال هذا دأبهم في الركوب . ومباكرتهم ومراوحتهم إلى مواقف الكروب . فكم أقروا منا أعينا بأيديهم . وثبتوا عدل النصر بتعديهم . وصدوا شر الشرك بتصديهم . وحركوا

ما سكن وهدأ من عزائم الهداة بتهديهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبا للفرنج إلى صور مقلعا . واجتلينا به من سني النصر مطلعا . وكان المركب محتويا على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوة . وغنيمة صفوة . ونشوة أعقبت صحوة . وصحيحة استصحبت ضحوة . وقوة من وهن العدو . ومحبة فكت رهن السلو . فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم . وانخفض اغتباطهم . وفترت عزمتهم . وقصرت همتهم . وخمدت فورتهم . وركدت ثورتهم . فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتفشوا . وتنفعوا وتنعشوا . ودب الروح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتدرك الضامن . وصاروا يخرجون ويحرجون . ويقتلون ويجرحون . ويمسون على القتال ويصبحون . ويكافحون ويدافعون . ويقارعون ويواقعون . والعسكر في المنزلة هاجم . وجم جمعه واجم . والبزكية زكية . والعيون زكية . والذوب راتبة . والعدة المعنية المعينة في كل يوم راكبة .

ذكر وصول ملك الألمان

ونمى الخبر بوصول ملك الالمان إلى القسطنطينية في عدد دهم دثر . ونظم من خيله ورجله ونثر . وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام . وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وانه في ثلاثمائة الف مقاتل . من كل سالب باسل . وطالب باطل . وجهم جهنمي . أشقري سقري . وأدهش أفعواني . وصل صليبي صلائي . وأرقش حذشي . ومستعر سعيري . ومحرب لظوي . ومغوار ناري . وضار بالقرن ضار . وجار الدرع جار . وكل ذئيب عاسل . ذاب بعاسل . وأزرق لأبيض مشتمل . وأصهب لأسمر معتقل . وكل جحيمي جاحم . وجمري فاحم . وحربي بحري . وبار بري . وقاطع في طريق الوصول . وراحل بقصد الحلول . وناز إلى النزال . وصال بنار الصيال . ومشمر على الموت متمرن . ومتحين إلى المنون متحين . وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقنع . ماله سوى السوء

من مقنع . وأنه مع الالماني ملوك وكذود . وكل شيطان لربه كذود . وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الأرمن . وهو في قلعته على الفرات ومن أهل الذمة في المأمن . يبدي تنصحا وإشفاقا . وتخوفا على البلاد واحتراقا . ويقطع بان الواصلين في كثرة . وان الناهضين الى طريقهم في عثره . وابرق في كتابه وارعد . وابدع بخطابه وابعد . ولا شك انه الى جنسه النجس مائل . وبملاءة اهل ملته قائل . ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم . وورد هذا الخبر وخيل أنه أليم . كاد الناس يضطربون . على أنهم يصدقون ويكذبون . ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون . وقلنا ان وضح هذا الخطر . وصح هذا الخبر . فالمسلمون يقومون لنا ولايقعدون . ويغضبون له ولايرضون انهم لايعضدون . على أن الله ناصرنا . وموازرنا ومظاهرنا . وحققنا باظهار القوة لمن استوحش التأنيس . وبثثنا بالارسال الى بلاد الروم عيونا وجواسيس . وندبنا رسل الاستنصار . وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار . وقلنا ما هذه المرة الامرة ولايسيغها الا كل مرىء ابي . وما هذه الكرة مثل كره . ولايحضرها الا كل كميش كمي .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع ابن تميم . ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له ما احتاج اوصي . وانت تستوفي القول وتستقصي . وجعل له الى كل الذي ظرف في طريقه رسالة . واودعه اليه مقاله . فسار من عندنا في شهر رمضان مغذا . يبذ خيل العزم بذا . ويجذ حبل السير جذا . ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيي بن عبد الله الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد . وذكر انه قد بلغ المراد . وانه استجدى واستجاد . واستفاد واستزاد . وانه استكمل للعدة الاستنجاز وللعدة الاستنجاد . فما هذا الرسول الرائح . وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح . واذا اختلفت الحديث حدث

الاختلاف . ومتى الف غير ما القى الفي الائتلاف . فما هذا العجل . ومم الوجل . فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . عن كل ما ابان عنه واعرب . وكتب الى والده . بذكر مقاصده . وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة تصدى . ولا رد من بثوب الرسالة تردى . وأنت تمضي الى السلطان . بما اوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم . ويعقد ويبرم . ويقول فتسمع . ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعا . وتجد شمل ما الفته جميعا . فوصل ضياء الدين الشهر زوري وهو مغتاظ . وسجايه السجاح غلاظ . وتغير علي . ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي . فانه كان مخالي ومخالطي . ومجالسي ومباسطي . فازلت عنه كل ظن . واعتذرت اليه بكل فن . فما بسط عذر . ولا قبض ذعر . فاني على اسبابي ببغداد خائف . ودون رضا كل سائر اليها واقف . واسترضيته فما رضي . ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي . ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه . واعلمه بما علمه . وقال له الشغل قد فرغ . والمقصود قد بلغ . والسؤال قد اجيب . والسؤل قد اصيب . والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم . وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مفطوم . فكن للامام يكن لك . واقبل امره ليقبلك . واجتمع بالسلطان دوني . واتفق بجماعة شاركوه وافردوني . وقرروا معه سرا امرا . وحذروه ان يصير جهرا . ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم . وأن الرأي الذي احكموا . غير محكم . ومازلت أوكد الأمر حتى يؤمن انتقاضة . واتعرض دون الرأي حتى لايمكن اعتراضه . وأيقن ان الامر مافيه خلاف . وان الوعد ماله اخلاف . فما فعل الرسول يتلبث ولا امهل يتمكث . بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازه . وزعم فيما دبر نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب . واسرع العودة على النجب . فلما انفصل عن السلطان . بما وصله من الاحسان . جمع السلطان الامراء على المشورة . ووقفهم على المعنى والصورة . وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهر زوري بشهر زور . واستدعيت عسكره المنصور . وربما قدم الينا الحضور . فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا هذا راي رائب . وشاو شائب . وأمر عنه الصواب ناء . وكيف تعد

الامام بما لايقرن بوفاء . وكيف ينجز هذا الوعد . وينجح هذا القصد . ودونه ايحاش من هو في طاعتك . فكنت تبذل ما يدخل في استطاعتك . اما صاحب الموصل طلبها فمنع . وصاحب اربل عنها دفع . ومملوكك بها لمن يجاوره خائف . وكل ايوائي لحدها وحقها خائف . وما من هؤلاء الا من بذل عنها اموالا واحوالا . والتزم من الجنهد والنقود انجادا خفافا وحمولا ثقالا . فاذا عرف انك اخرجتها لمن له الامر . دخل عليهم الضر . وملك مالك الامر امركم . وابدوا في انقطاعهم عنك عذرهم . وانقطع الواصل . وارتفع الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد . ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد . اما هذا بكتمر في خلاط . قد جمع الاخلاط . وجهر بالعداوة . واقام على الغيابة والغباوة . فقال السلطان الخليفة ملك الخليفة . وهو مالك الحق والحقيقة . فان وصل الينا اعطيناه هذه البلاد فكيف شهر زورو . وسيحدث الله بعد الامور الامور . ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بغداد . صادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد ، فلم يسفر أمر سفارته عن سداد ، وقيل له جواب ماأتيت فيه مع ضياء الدين نسيره ، وننديه فيما نتخيره ، وشرف بهاء الدين وأعيد ، وزين ضياء الدين وزيد ، وذكر ماجرى فتم الاعتداد وتم الأحماد وسيأتي ذكر ما آلت اليه ذوبته حين كانت أوبته .

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الايمان .

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال . في جيش وآل . وجمع حال . وشوكة رائعة . وشكة رادعة . وشارة سارة . وديمه من البأس داره . وعدة منتخية منتخبه . وعدة منتقاه مهذبه . من كل أجدل على مرقب . وأجود على جواد مقرب . وصاف

عتيق على صافن عتيق . وطود ونيق على نيق (٣٧) . وصقر على سوذليق . (٣٨) وبحر على سابح . وجذع على قارح . ومن كل رئبال على تذفل(٣٩) . وأغر محجب على أغر محجل . ومن كل أبيض ضرب بالبيض ضراب . وكل أسمر باسل بالسمر سلاب . وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعتقل شجاعا . وكل أحمى أحمس . وكل أفرى أفرس . ومن كل أسد خادر . وقسور قاسر . وضيم ضاغم . وقمقام واقم . وليث به لوثه . وحدث له في الشهامة أحدوثه . واحضر معه من سودان مصر كل ذمر كانه العبسي عابس . وكل مغامر للموت مغامس . وكل غربيب حلكوك . وكل سرحان صعلوك . وكل ضرغام غريفي . ومقدام ريفي . وكل خارح لثار . وكل مارج من نار . وكل أسود سالخ . وكل رأس في الشر راسخ . وجاؤوا بالغبسة القبطية . والترسة اللمطية . والصلال القفطيه . والالال الذوبية . والحراب الحربية والصعاد الصعيدية . والصوارم المذروبة . والصرائم المشبوبه . والاسنة المسنونة . والصوابغ الموضونه . والسراحين السارحة . والثعابين الجارحة . والتماسيح المزدرده . والشياطين المتوقدة . والزانات واليزنيات . والهنديات واليمانيات . وكان يوم وصول العادل مشهودا . لم يترك في كل ما يراد من القوة مجهودا . واقبل في روع ظاهر . وضوع باهر . وبشر ذائع . ونشر ضائع . وحبور تام . وسرور عام . وهزة وطرب . وعزة وأرب . وقلنا سيف الدين المنتضى . وناصر الاسلام المرتضى . وغياث الانام المرتجى . وسلطان جيوش المسلمين المجتبى . لقد نص النصر . وكف الكفر . وسلم الاسلام . ونام الانام . وأمن الايمان . وتسلط السلطان . وحليت الاحوال . وفرغ البال . وبلغت الآمال . ونيل رجاء الرجال . وأزيل إبطاء الابطال . وورت زناد الأجناد . ورويت ظماء الصعاد . فما بعد اليوم . الابعد القوم . وادرك ما استقام من النهج . وهلاك من أقام من الفرنج . ونزل الملك العادل في مخيمه . وقدم اليمن بمقدمه . وتقدم السلطان إلى راجل دمشق والبلاد فحضر . وضايق الفرنج به وحصر . ولم يخل العدو في كل حين من حين . وفي كل وقت من مقت . وفي كل شأن من شين . وفي كل بقعة من وقعة . وفي كل صقع من صقعه . وفي كل ليلة

من بليه . وفي كل سحرة من كبسة بالذكاية فيهم مليه . والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي . ومن جهده في القتال لايخلي . والفرنج على البلاء صابرون . وللعناء والعناد مكابرون . لايبرزون ولايبارزون . ولايجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجاري الاحوال .

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل . ومجاولة أهل الغواية بالغوائل . ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد أمواجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكا المحروسة . براياتهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة . وظلال الضلال الممدودة . وأقدام الاقدام المصدودة المسدوده . وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه . وبسط الكفر جناحه . وحصل الشرك على قروحه وعدم اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت . والروعات التي وقعت . أكثر من عشرين الف مقاتل . من فارس وراجل ورامح ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم . ولا أرث الا نار حرصهم . وما فلل حد حديثهم الحادث . ولا قلل عدد كثيرهم الكارث . ولا غضوا عيون أطماعهم . ولا فضوا ختوم اجتماعهم . ولاردوا وجوههم عن مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى . ولو قطعوا بالمدى . وهم لمواضعهم ملازمون . وفي مصارعهم جاثمون . وعلى الموت صابرون . وإلى الحمام سائرون . وبالخنادق من البوائق محتمون . وبالطوارق معتصمون . وعندهم انهم للبلد محاصرون . وهم على الحقيقة وان كانوا لكثرتهم غير محصورين محصورون . وإن جندنا لهم المنصورون . وللعساكر الاسلامية فيهم كل يوم ذكاية شديده . وفتكة مبيدة . ووقعة ناكية . وجمرة ذاكية . وصدمة صادعة . وحدمة رادعة (٤٠) . ولما امتنع الدخول عليهم . وتعذر

الوصول إليهم . جمع راجل البلاد . وحشد إلى حشودهم ذوو الاستعداد . حتى تقاتل الراجل بالراجل والفارس بالفارس . وتفترع بقمع جمعهم بكر الفتح العانس . وقد وصل الأخ العادل وفقه الله للمراضي الشريفة . بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن يجعل حتف هؤلاء الفرنج فتحا لأبواب الفتح . ويعجل الليالي آمال المسلمين بطلوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينجع فيه التدبير . ويأتي عليه التدمير . وإنما هو كل من وراء البحر . وجميع من في ديار الكفر . فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة . ولا خطة صغيرة ولا كبيرة . الا جهزت مراكبها . وأنهضت كتائبها . وتحرك ساكنها . وبرز كامنها . ونفضت خزائنها . وانفضت معادنها . وحملت ذخائرها . وبذلت أخايرها . وثار ثائرها . وطار طائرها . ونثلت كنائسها . واستخرجت دفائن نفاسها . وخرج بصلبانها أساقفها . وبطاركها . وغصت بالأفواج فجاجها ومسالكها . وتصلبت للصليب السليب . وتغضبت للمصاب المصيب ، ونادوا في نواديهم بأن البلاء دهم بلادهم . وأن أخوانهم بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم . وأنه من خرج من بيته مهاجرا . وبحرب الاسلام مجاهرا . ولتعبده مستردا . ولجده في النخوة لدينه مستجدا . فقد وهبت له ذنوبه . وذهبت عنه عيوبه . ومن عجز عن السفر . سفر بعدته وثروته من قدر . وبذل البدر لمن بدره . فجاؤوا لابسين الحديد بعد أن كانوا لابسين الحداد . وتواصلت منهم الامداد بالامداد . وتوالت أنجاد الانجاد . فهم على النقص يزيدون . وعلى الأبد يبيدون . وبالمهج يجودون . وعن اللجاج في حوض اللجج لايعودون . وهؤلاء الواصلون في البحر القاطعون أثباجه . المكاثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصلون في البر فقد تواترت أخبارهم . بأن خلت منهم ديارهم . ورمتهم إلي أغراضهم البعيدة أوتارهم . وبهم يستفحل الشر . ويعضل الأمر . ويصول الكفر ويجول . ويتطاول الشرك ولكنه لايطول . فان لدين الله من خليفته ناصرا لايسلمه . ورازقا لايحرمه . وما تمسك بحبل طاعته إلا من فاز قدحه . وحاز السناء مدحه . وأسفر صبحه . ووفر نجحة . وبدا علوه . وباد عدوه . والخادم بقوة رجائه في العوارف

الامامية . والعواطف الدينية . وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصرية . الى أن يفرق الجمعين . ويجمع للفريقين القمعين . ويعيد البر بحرا من دماء وافدي البر والبحر . ويقطع بقطع دابرهم دابر الكفر .

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة المستبدة بالبأس والشدة وكانت عدته خمسين شينا .

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب إلى مصر . بتجهيز الاسطول وتجزيه حياله . وتزجيه أمور رجاله . وتكثير عدده . وتوفير عدده . وإصلاح شؤون شوانيه . واسناء رواسي سواريه . فتولى حسام الدين لؤلؤ الشيخ أمره ؛ وشرح لايراده وإصداره صدره . وأنفق من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته وشكرت في العدو نكاياته ، وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيهاأحد . ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد . ما سلك نهجا الاملك . ولاطلب غاية الا أدرك . وهو ميمون النقيبه . مشكور الضريبة . وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز . ووقف لهم على الطريق المجاز . ولم يترك منهم عينا تطرف . ولم يبق لهم دليلا يعرف . وغزواته مشهورة . وفتكاته مذكورة . وأمواله مبذولة . وأكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلوله ، فتولى الاسطول . وجمع به الطول والطول . ووصل به وللفرنج من شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولواسب سوالب ما تغيب وما تغب . وسفن حمالة ومقاتلة . وبطس للازواد والمير ناقلة . فصدمتها مراكبنا بمناكبها . وملأت معاطنها بمعاطبها . واستطال الاسطول المنصور على أساطيلها . وجاء حقه بازهاق أباطيلها . وطلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما . وقذفت لشياطين الكفر رجوما . واقبلت سواريها بالرواسي . مبرمة الأمراس محكمة

المراسي . وقطعت اللجة بأشباه أمواجها . وسدت فجاجها بأفواجها . ونكست أعلام الاعلاج عن أثباجها . ووافت أساودها السود بالأسود . وسدت عقبانها الآفاق بأجنحة الرايات والبنود . وطارت بقوادم المجانيف وخوافيها . وزارت بجوارح المقانيف وعوافيها . فجاءت فجاءة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب . وتطوي اللجة كطي السجل للكتاب . فصدتها وصدعتها . وردتها وردعتها . فكأنما نعت غربانها ببين أحبة الكفر أعاديها . وناحت ظعائن الضغائن على شواني . شوانيها . وعادت قوامص الفرنج فيها قنائص جوارح جواريها . فأول ما ظفر الاسطول المنصور . بشيني للفرنج عظيم الشأن . عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتلته . وتبع ما يليه . فوقعت بطشته الكبرى ببطسه كبيرة . تشتمل على ميرة لهم ونخيرة . وأمتعة كثيرة . وتفرقت سفن الفرنج أيدى سبأ . وأصلد زندهم وكبا . وعادوا محصورين محسورين قد دفعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم . وايقنوا أنهم تورطوا في مهالكهم . وسيرت بوصول الأسطول كتب إلى الأقطار . وبشر المسلمون بما حصل به من الاستظهار .

ذكر فصول انشأتها فيها

منها فصل:

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة . وجموعهم متكاثفة . استدعينا الاسطول المصري المنصور فجاءها فجاءة . وامتد اسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءة . وأقبلت جواريه جوارح من قنائصها القوامص . وصدمت شوانيه شواني الشناة فعادت مراكبهم وهي ذواكص . وطارت غربانا ببين أحبة الكفر أعداء الاسلام ناعبة . وأطردت على طرائد الفرنج فطردتها غالبة لا

لاغبة . وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة . وألهبت في الماء على أهل النار كل نار للذكال مسعره . واذقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت . وعملت ما شاءت . وتبعتهم مرارا وبالغنائم فاءت.وأعشت أعين الرائين كلما تراءت . فضاقت بها العداة ذرعا . ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى .

فصل من كتاب

صدر الكتاب بورود الاسطول المصري بالسطو الشديد والبأس القوي . فارتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع . وذل جمع الكفر لعزه الجامع . وجاء بكل شيني شاني . لشائن الدين واجيء مفاجع للعدو بالهلاك مفاجيء . مفرق لمراكب الشرك المجتمعة . مضيق شاهج مضارها المتسعة . فطحن مناكب مراكبها . ووسع معاطن معاطبها . واستولى منها حالة وروده على عدة للملاقاة مستعدة . ولامداد اعانتها ممن وراءها مستمدة . وقتل من فيها من الرجال . وغنم ما وجد فيها من العدد والأموال .

فصل من مكاتبة أخرى:

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن . زائد لبهجة الاسلام زائن . زائر بكل أسد زائر . سائر بكل مقدام إلى مقام الاقدام سائر . وكانت الفرنج قد جهزت مراكبها . وارهقت غروبها وسذمت غواربها . وملاتها برجال أيديها على قوائم القواضب قوابض . وأرجلها على الثبات في روابي متون سفنها روابض . وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه . ويلقوه وبالمدافعة ويجاولوه . فلما وصل وصال . وراع أمره وهال . وجلا عليهم

الاوجال والآجال . بتوا المراسي والحبال . وانهزموا بسفنهم وأذنت قوتهم بوهنهم . واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والذخائر والاحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة .

والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها . وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والذخائر والعدد .

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث . وتبحرت السهول . والوعوث . وحالت الاوحال ولاحت على خلاف المراد الاحوال . وتعذر الخروج إلى تلك المروج . وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج . وزال حكم النزال . واستقال من استقل بالقتال . شرع السلطان فيما هو أنفع وأجدى وأنجع وأنجى . وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى . وهو تقوية عكا بالميرة والذخيرة . والاسلحة الكثيرة . والرجال الحماة . والابطال الكماة . فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الامثلاء بأجنادهم . فدخلوا اليها بعددهم وأزوادهم . واستظهر البلد أيضا برجال الاسطول ورؤسائه وقواده . فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زاده . وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري حربي . على الجري إلى الموت جري . فامتلأ البلد بكل منتخب منتخ . مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ . وانتفع بهم في جذب المنجنيقات . والرمي في العرادات . والحذف بالنفاطات . والاحراق بالزراقات . والزرق بالمحرقات . والقاء القوارير . واذكاء المساعير وتطريح النار . وتطويح الاحجار . ومواصلة القطاعات . والزيارة بالزيارات . وتوتير الجروخ والزنبوركات . وتطيير الناوكات . الذواكي من مقاتل العدو الى الوكنات . ومناشبة الفرنج في كل وقت بالأخذ والوقذ . والجد في الجد والجذ . وطروقهم ليلا على سبيل التلصص .

وسوقهم على وجه التصيد والتقنص . وكبسوا ليلة سوق الخمارات والسواهر . وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستنصروا بذلك واستبشروا . واجترأوا منه على ما أجروا . وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين . ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين . فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه . ومن تعذر عليه اخراجه عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمد مديته . ويسلبه سكونه بسكينه . ويجعله ان لم ينجذب معه من حينه على يقينه . فيقوده بخطام القهر . ويجذبه بخدام الأسر . ووقع القوم من هذا في بلاء مبل . وعناء عن حب الحياة مسل . فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز . وشق عليهم الاحتراس والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقهم من كل فريق . وأعدت الحال من الليل إلى النهار . والمكابرة والجهار . حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في أجراف الانهار . فاذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار .

ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب ثلاثمائة امراة افرنجية مستحسنة . متحلية بشبابها وحسنها متزينة . قد اجتمعن من الجزائر . وانتدبن واغتربن لاسعاف الغرباء . وتأهبن لاسعاد الاشقياء . وتراقدن على الارفاق والارفاد . وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية نازية . زاهية هازية . عاطية متعاطية . خاظية خاطية(٤١) . متغنية متغنجة . متبرزة متبرجه . نارية متلهبه . متنقشة متخضبة . تائقه . فاتقه . راقعة خارقة . مارقة رامقة . قاسرة سارقة . فارجة فاجرة . فاتنة فاترة . مشتهاة متشهية . ملهاة متلهية . متفننة متفتيه . ناشية منتشيه . متشوقة متسوقة . مقترحة محترقة . متحببة متعشقه . حمراء مرجاء . نجلاء كحلاء . عجزاء هيفاء . غناء لفاء . زرقاء ورقاء . متخرقة خرقاء . تسحب غفارتها .

وتسحر بنضارتها نظارتها . وتثنى كأنها غصن . وتتجلى كأنها حصن . وتميس كانها قضيب . وتزيف وعلى لبتها صليب . وهي بائعة شكرها بشكرها . باغية كسرها في سكرها . فوصلن وقد سبلن أنفسهن . وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن . وذكرن أنهن قصدن بخروجهن . تسبيل فروجهن . وأنهن لا يمتنعن من العزبان . ورأين أنهن لايتقربن بأفضل من هذا القربان . وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب . وانضمت اليهن أترابهن من الحسان الشواب . وفتحن أبواب الملاذ . وسبلن ما بين الافخاذ . وبحن بالاباحة . ورحن إلى الراحة . وأزحن علة السماحة . ونفقن سوق الفسوق . ولفقن رتوق الفتوق . وتفجرن بينابيع الفجور . وتحجرن بنزو الفحول منهن على الحجور . وعرضن الامتاع بالمتاع . ودعون الوقاح إلى الوقاع . وركبن الصدور على الاعجاز . وسمحن بالسلعة لذوي الاعواز . ودمن على تقريب خلاخلهن من الاقراط . ورمن فرشهن على بساط النشاط . وتهدفن للسهام . وتحللن للحرام . وتعرضن للطعان . وتضرعن للاخدان . ومددن الرواق . وحللن حين عقدن النطاق . وصرن مضارب للاوتاد . واستدعين النصول منهن إلى الاغماد . وسوين أراضيهن للغراس . واستنهضن الحراب الى التراس . واستنفرن المحاريث إلى الحرث . ومكن المناقير من البحث . وأذن للرؤوس في دخول الدهاليز . وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز . وقربن الاشطان من الركايا . وفوقن النبال في أعجاس الحنايا . وقطعن التكك . وطبعن السكك . وضممن الاطيار في أوكار الاوراك . وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك . ورفعن الحجر عن المصون . وترفعن عن ستر المكنون . ولففن الساق بالساق . وشفين غليل العشاق . وكثرن الضباب في الوجار . وأطلعن الاشرار على الاسرار . وطرقن الاقلام إلى الادوية . والسيول إلى الاودية . والجداول إلى الغدران . والمناصل إلى الاجفان . والسبائك إلى البواتق . والزنانير إلى المناطق . والاحطاب إلى التنانير . وذوي الاجرام إلى المطامير . والصيارف إلى الدنانير . والاعناق إلى البطون . والاقذاء إلى العيون . وتشاجرن على الاشجار .

وتساقطن على الثمار . وزعمن أن هذه قربة ما وفوقها قربه . لا سيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه . وسقين الخمر . وطلبن بعين الوزر الأجر . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية . وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . وأبق من المماليك الاغبياء والمدابير الجهلاء . جماعة جذ بهم الهوى . واتبعوا من غوى . فمنهم من رضي للذة بالذلة . ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في الذقلة . فان يد من لايرتد لاتمتد . وأمر الهارب اليهم لاتهامه يشتد . وباب الهوى عليه يستد . وما عند الفرنج على العزباء إذا أمكنت منها الأعزب حرج . وما ازكاها عند القسوس إذ كان للعزبان المضيقين من فرجها فرج . ووصلت أيضا في البحر . إمرأة كبيرة القدر . وافرة الوفر . وهي في بلدها مالكة الأمر . وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم . وغلمانهم واشياعهم . وهي كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة . زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة . وهم يركبون بركباتها . ويحملون بحملاتها . ويثبون لوثباتها . وتثبت ثباتها لثباتها .

وفي الفرنج نساء فوارس .لهن دروع وقوانس .وكن في زي الرجال . ويبرزن في حومة القتال . ويعملن عمل ارباب الحجا وهن ربات الحجال . وكل هذا يعتقدنه عبادة . ويخلن أنهن يعقدن به سعادة . ويجعلنه لهن عادة . فسبحان الذي اضلهن . وعن نهج النهى ازلهن . وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوة . لهن بالفرسان أسوة . وفيهن مع لينهن قسوة . وليست لهن سوى السوابغ كسوة . فما عرفن حتى سلبن وعرين . ومنهن عدة استبين واشترين . وأما العجائز . فقد امتلات بهن المراكز . وهن يشددن تارة ويرخين . ويحرضن وينخين . ويقلن ان الصليب لايرضى الا بالاباء . وانه لابقاء له إلا بالفناء . وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء . فهن للغيرة على الملة مللن الغيرة . وللنجاة من الحيرة ناجين الحيرة . ولعدم الجلد عن طلب الثار تجلدن . ولما ضامهن من الامر تبلهن وتبلدن

ذكر ماأهداه عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل من الذفط الأبيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة . وتقوية النجدة . بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة . سير من أحمال الذفط الابيض مع عزة وجوده ما وجده . ومن التراس والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده . وشاع الاعتداد . وذاع الاحماد . ودل ذلك على اتشاج الو داد . والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح . وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح . واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقائها أجسام الاعداء الارواح واتصل بالذفط الواصل إلى أهل النار الاحتراق . وطغت وضربت منهم النحور والاعناق . وقد هدا بما أهداه النصر إلى الهدى . والردى الى العداء وأجود الاكارم وأكرم الاجاود من جاد بما أجدى . واهدى ما هدى . وعاد من المكرمة بما بداء لاأخلى الله المجلس من يد يتخذها . وأياد يسيرها وينفذها . ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستنفذها . وحمية للدين يقم بها حماة الشرك ويقذها . ونخوة للاسلام تمهي حدود الهمم النابية وتشحذها . وما طلب من العدة ما طلب إلا للحاجة الحاقة . والضرورة الشاقة . فان الحروب المتطاولة المدد . أتت على جميع العدد . فالسمر متحطمة . والبيض متثلمة . ووجوه الصفاح بلثام النجيع متلثمة . وعيون النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقة مارقة . وحمام الحمام في مريشات السهام بكتب الكبت من حنايا المنايا السائقة

سابقة . وقد أفنى المصال النصال . والنضال النبال . والرماء الافواق . واللقاء العتاق . والمصاع المناصل . والقراع الذوابل . والصيال الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر الا وهو وإن كان غالبا لاغب . ولاصارم الا وهو في دم العدو الفائض ناضب . ولاجارح إلا وهو مجروح . ولاقارح الا وهو مقروح . ولاجامح الا وهو مصحب . ولاباشر الا وهو مقطب . فباية عدة من هذه العدد انجد . غار الحمد وأنجد . وتاسس الشكر لانعامه وتمهد . ومن العجب أن العدة تفنى ولاتفنى العداة . وتنمو على الحصاد وكأنها النبات . ويتسارع الى أمدادها الموت والهلاك ويخلفها في إبدالها الحياة . فان البحر يمدهم . والكفر إلى الردى يردهم . وكلما اخلقتهم الايام فان الليالي تجدهم . وما جمعهم القدر إلا ليفرقهم . وما حمل أهل النار في الماء الا ليغرقهم في دمائهم وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره . وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره . فقال السلطان هذه أيام الشتاء . ولاينتصف فيها من الأعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع . واستنهاض الجموع الى شمل النصر الجميع . فكتب بتاخيره . والتمهل في تسييره . فتاثر قلب عماد الدين برد ولده . ورجوعه بعد المسير من بلده .

فكتب اليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامره . والتقدم بتجهيز العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره وانشراح صدره .

وعرف مسيد قطب الدين ادام الله له مضاعفة العلاء . وأقر باذواره عيون الاولياء . وظن انه لم يقدم حركته المقرونه بالحسنات . ولم يقرب من عبر الفرات . اشفق عليه من التعب . ليكون عسكره مستريحا عند الطلب . فإن الحاجة اليه في الربيع أدعى . ومصلحة الاسلام في ذلك الاوان أولى أن تراعى . ولو عرف أن الركاب القطبي قد دنا . لبشرته السعادة بنجح المنى . ولاستقبله بالنفوس والارواح . وتلقته القلوب بالقبول العبق بنشر الاشراح . وان اشتعل القلب بما فاته من حظ من الاستسعاد بوفوده . فقد بشر أمله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده .

وفي آخر هذه السنة ندب الرسل الى الاقطار والامصار . للاستنفار والاستنصار . وبث الكتب وكتب بالبث . وحث الرسل وأرسل بالحث . وبعث المسرعين لاستبطاء البعث . وانهض للتبليغ كل بليغ . وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ . وسرح عدنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن . وشرح في الكتاب اليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جلية الحال . وما نحن عليه من دوام القتال . وطلبت منه الاعانة بالمال . واستعين واستنجد . واستلين واسترفد . وحض على حظه من انجاد الاسلام . وان يكشف بسني طلوعه من الاظلام . وأرشد الى نهج السماح . وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد الجرد العتاق . وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد الانفاق . وكوتب قزل ارسلان بهمذان . بما دنا منه عزمه ودان . وحكم على كل ملك بحجة الايمان . وهدي إلى محجة الاحسان .

ذكر وصول رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجاء الى ظل السلطان وارتجاء ماله من فضل الاحسان.

ورد من عند طغرل سلطان العجم . أمير من خواصه هو أيلدكز أمير العلم . فضرب له من الخيم الخاصة سرادق . ووفرت في الضيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته أنه خانته من امرائه ومماليكه العامة والخاصة . وخصته في سفراته ونكباته الخصاصة . وأن عمه أخا أبيه من أمه قد استولى على ممالكه . وضيق عليه سعة مسالكه . والجاه الى هذا الالتجاء . وهو بقوته من هذا الجانب قوي الرجاء . وقد وصل الى حد مملكتك بقرب اربل . واراد الوصول الى الموصل . لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن قفجاق . ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم دولتكم . والمستمسكين بعصمتكم . والمستوثقين بذمتكم . وانا عنده مقيم . وعلى سنن الأمل مستقيم . فان استقدمتني اليك قدمت . وان أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدمت . وانا الآن هزيل عامك . ونزيل إنعامك . ووصل معه كتاب بخطه . قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة . واستدعى الاعانة . واردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسه من سول . فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل . وانه لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب إلى زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهر زور بالتوفر على خدمته . والارتياد لمصلحته واشاعة معونته . ثم ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل أرسلان وهو جمال الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبدكونه نسيبي . ليكون القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصلحة والمصالحة . والمصافاة على صفقة المودة والمصافحة وحفظ حرمة تضرعه وتذرعه . وسياتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . ولقد كان من الاعيان . ومن مقربي السلطان . ومن أهل الجد في نصرة الايمان . فنقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن ابي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله . ودفن معه فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة النصف من شعبان منها وكان من الابرار الأخيار . والعظماء الكبار .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكا محصورة . وجموع الفرنج الى حصارها محشورة . وعلى تعذرها عليهم محسورة . وخرجت هذه السنة والحصر مستمر . والسلطان في ملازمة القتال مستقر . وحيا النصر في الاحيان مستدر . وقد تسنت للاسلام مباهج . ووضحت للسعادة مناهج . وبانت للقتال مداخل ومخارج . وانقطعت بين الوشيج وأرخام الارواح وشائج . واشتدت لتباريح الأشواق الى لقاء الاعداء لواعج . وتالفت في الاقدام مقدمات ونتائج . ولناجح المنى منا في مدى الرجاء مدارج . ولخطباء الظبا في منابر الطلى معارج . وللجهاد جهات . وللعزمات أزمات . واتفقت حسنات وحسنت اتفاقات . وكانت لنا مسرات هي لأعدائنا مساءات . ووقعت عجائب . وأعجبت وقائع . وأبدعت غرائب . وأغربت بدائع . واجتمعت كتائب . ونابت ذوائب . وصفت تارة وكدرت مشارب . وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار . وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقائع عدد لايقع عليه الحصر . ولكم أسفر صبح أصحب فيه جماح الظفر وسفر النصر . وسيرد حديث كل حادث بمفرده . ويجدد ذكر كل متجدد بمجرده .

- ٦٠٢٤ -

ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب احيانا للصيد . بعد ان يحذر على ما يظهر للعدو من الكيد . وهو لايبعد من الخيم . ولايقرب من مسائل الديم . وركب يوما في صدر على عادته فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة . على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لايدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا اليهم . وحملوا عليهم وطردوهم إلى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وأمامهم . ومازالت بينهم حملة وحملة . وشلة وشلة . وسلة وسلة . وركضة وركضة . وذفضة وذفضة . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة وضربة . وشدة وشدة . وردة وردة . وضمة وضمة . ولة ولة . وأصحابنا ظاهرون . وبالمراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع . وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فني الذشاب وبقي الانتشاب . وشاع نداء الاصحاب باستدعاء الذشاب . والفرنج لايعجزهم الا الرماء . ولا يهتكهم إلا الاصماء . ولايذفرهم الا رنة الاوتار . ولاينذرهم الا أنة القسي بالدمار والبوار . فلما أذسوا بخلو الجعاب . تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر . وكادت تعبث بهم يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . واشرعوا الى نحور تلك الذئاب ثعالب الخرصان . واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعام الطعان . وشاقهم جني الجنان . وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا . وصرعوا اقرانا . فنزلوا بعد فرسهم . لسلب لبسهم . فمرت بهم الحملة في الاوبة . وأعجلتهم عن الركبة والوثبة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان . واجتمع في مراكزها الفريقان . وكثر التاسف على من فقد . وكان الحاجب ايد غمش المجدي ممن استشهد . وزاد التلهف على فوات الفرصة . وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصة . فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك

العرصة . ومن نوادر هذه الوقعة . وطرائف هذه الدفعة . ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر . وهو يتطاول في كل معترك ولايقصر . عثر به جواده . وثبت على الجرأة فؤاده . ورجله عثاره . وأسلمه أنصاره . فقبض من أسره شعره ليجذبه . وسل آخر سيفه ليضربه . فضرب يد قابض شعره فسيبه . واشتد سرا سنقر يعدو ناجيا والخلاص راجيا . وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه . وفاتهم بعون الله فلم يدركوه . وهذا قذفته المذون من لهاتها بعد ازدراده . وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده .

ذكر فتح شقيف أرذون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارذون . واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون . وصاحبة ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل . وباب خلاصة دون فتح شقيفه مقفل . وذلك أن الشقي في الشقيف فني زاده . وعز اجتهاده . ومرد عليه في الحفظ مراده . وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده . فسلمه على أن يسلم صاحبه . وتخلص في النجاة مذاهبه . وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه . وتركه للاسلام بما يحويه . وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور . ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور .

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها

كان السلطان اغتنم هيجان البحر . وحضور مراكب الاسطول من مصر . فمازال يقوى عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب . وقد ملأها بالذخائر والاسلحة والكمات المساعير والحناة المحارب . فلما سكن البحر . وأمن غائلته الكفر . عادت مراكب

الفرنج الى مراسيها . ودبت عقاربها وأفاعيها وشدت مراكبنا في موانيها . وانقطع عنا خبر البلد . وامتنع عليه دخول المدد والعدد . فانتدب العوام للسباحة . وحملتهم السباحة لهم بالرغائب على وضع المنهج في ميزان السماحة . وعلموا انهم اذا سبحوا ربحوا . واذا سلموا فرحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم . ويحملون كتبا وطيورا . ويعودون بكتب وطيور . وتكتب اليهم ويكتبون الينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور . ويودع المكتوب والمكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور . وكان في العسكر من اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته . وعمل لها برجا من خشب . وهرادي من قصب . ويدرجها على الطيران من البعد . ويوردها لشبعها وريها احب الحب واعذب الورد . وكنا نقول ماهذا الولع بما لايذفع . والوله بما لاينجع . حتى جاءت نوبة عكا فنفعت . وشفت الغلل ونقعت . واتت بالكتب شارحة سارحة . ووفت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحه . فصرنا نحبو صاحب الطيور بالاطراء . ونخصه بالمدح والثناء . ونامره بالاستكثار . ونطلبهامنه مع الليل والنهار . حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال . وكنا نعرف بها جلية الاحوال . ونعلم ان الله علمه ذلك البر . والهمه ذلك السر . فانه اطلع على مايدفع اهل الاسلام . فحمى حمي هداهم بهداية الحمام . فانها امينة على الاسرار ضمينة بالاسفار . قمينة بكرامة الاحرار . مصونة من بين الاطيار . جريئة على الاخطار . بريئة من الاعذار . معدودة من الانخار . مودودة مع الاخيار . وحمام البلد الينا مع العوام محمولة . وعقود الاكياس عليهم محلولة . والضرورة تحمل على تحمل الضرر . والغرارة تبعث على الاذبعاث الى الغرر . والفقر يدعو الى ركوب الخطر . وفيهم من سلم مرارا من القوم . فاجترأت نفسه وأنس بالعوم . ولقد عطب عوامون . بالامانة قوامون . فما ارتدع الباقون . وما قالوا انهم لما لقي رفقاؤهم لاقون

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر . وانتشى الربيع وانتشر . أمر السلطان عساكره بالعود فتوافت أمداد أجوادهم توافي امداد الجود . فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة . وهو بأكمل العدة وأحسن الاهبة . وسابق الدين عثمان صاحب شيزر . وهو الذي ببسالته يقسر الليث القسور . وعز الدين ابراهيم بن المقدم المقدام . الهمام بن الهمام . والكريم بن الكرام . والاسد الضرغام والسيد القمقام . ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان . وحشود من العرب والتركمان . ففاض بهم الفضاء . واكتسى برياشهم العراء . وكثرت الجنود . وانتشرت البنود . وحلقت عقبان الالوية . وتلاحقت ذؤبان الاودية . ولمعت بوارق البيارق . وارتفعت عوائق البوائق . وحملت بواسق السوابق . وثبتت وثائق العلائق . ونبتت شقائق العقائق . ونظرت أحداق الحدائق . ويسرت طرائق الطوارق . واعجبت أزهار الرايات وانهت غايات الغايات . ونزلت بحسن الصنيع نصوص النصول . ودارت بيد الربيع فصوص الفصول . وعلت الاعلام . وحلت الاحلام . وومضت المواضي ومضت . واقتضت القواضب القواضي وقضت . وعريت البيض من الحلى . وغربت السمر بالكلى . واشتاقت لدات اللدان الى العناق . وتاقت شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدث في المجاراة باجراء العتاق . وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب . وأعجم عن جمجمة الجماجم اعراب العراب ، وحمي عزم البطل . ومحي رسم الملل . وعاد الجد الى جدته . والحد الى حدته . وخرج البرد من عدته . وفاز النصر بعدته . وجليت بنت الغمد في زي الهند وري الفرند . وقطف ورد الورد للشد الى الورد . وقال الناس إلام ننتظر . وعلام نصبر ولم لانشتغل وكيف لانشتعل . وحتام القعود . ومم الركود . ولماذا الرقود . وقد نظرت السعود . ونضر العود . وصدقت من

أصحابنا الوعود . فرحل السلطان وتقدم . وعزم علي طلب العدو وصمم . ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول . في الفصل الاعدل والفضل الاكمل . وتدانى العسكران . وتعالى العثيران . وتقارب القرنان . وتحارب الحزبان . وترتب العسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا . وفي ركوبه على ترتيب منازلهم طلبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة الميمونة . والملك العادل في آخر الميسرة الميسرة المنصورة المصونة ، والملك الافضل في اول ميمنة القلب وأخوه الملك الظافر في اول ميسرته على الجنب ، والكتائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء بالنقع الثائر مذقبة ، والارض بوقع الحافر مثقبة ، والعساكر مترادفة مترافدة . متتابعة متواردة ، متسابقة متلاحقة ، متناسبة متناسقة . متوالية متوافية ، متجارية متبارية ، مذقضة كالبزاه ، مذفضة الى العداة ، داعية الى الانتصار ، عادية على الكفار .

ذكر وصول رسول دار الخلافة
مع ضياء الدين الشهر زوري في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار الخلافة ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرأفة ، وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام . فتلقاه السلطان بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله . واستقبله لقبوله ، وتلقاه الامراء على الترتيب ، فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من وقف له بالقريب . ثم اخوة السلطان وأولاده واحدا بعد واحد . وماجدا بعد ماجد . وبادئا بعد عائد . ثم ركب السلطان اليه عند القرب من سرادقه . وأدناه اليه بتعانقه ، ثم سار معه قليلا (٤٢) وأصحبه من خواصه وأمرائه قبيلا . حتى نزلوا به في بار كاه له مضروب ، وخصه بصندوف من الالطاف وضروب ، ووصل معه حملان من الذفط الطيار . وحملان من القنا الخطي الخطار ،

وتـوقيع بعشرين الف دينار . تقتـرض على الديوان العـزيز مـن التجار ، وخمسة من الزراقين الذفاطين المتقنين صـناعة الاحـراق بالنار . فاعتد السلطان بـكل مـا أحضره . وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره . غير انه ابدى رد التوقيع مع الصنيع ، وقال كل مـا معي من نعمة امير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعشني ما شـملني مـن عاطفته ، ولعل الله يوفقني للقيام بـالفرض ، ويغنيني عن الالتـزام بالقرض ، وأركب الرسول مرارا معه واراه مبارك النزال . ومعارك القتال . ومصارع الرجال . ومجامع الابـطال . ومـطالع اللقـاء . ومواضع الهيجاء . ومصالت الاقدام . ومنابت الاقـدام . ومـواقف الصفوف . ومصاف الوقوف . وأماكن البعوث . ومكامن اللبـوث . وتل الفضول . وبقية التلول . حتى يشـهد بمـا يشـاهد . ويبين له المجتهد والمجاهد . وأراه ما لم يره لياثـر أثـره . ويخبـر بجملتـه ويجمل خبره . وأقام الرسول طويلا . وأقام له السلطان من طـوله دليلا . ووفر له عطاء جزيلا . وعرفا جميلا . حتى استانن في العود فعاد . واستصحب الشكر والاحماد .

ذكر مقاتلة الفـرنج عكا بـالابراج والاعجـاز بهـا والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار . شرعوا في عمل الابـراج الكبـار ، وركبوها من الاخشاب الطوال . والعمد الثقال . وبنوها وقدموها ، ونصبوها وأحكموها . وسقفوها طبـاقا . وسـمروها بـالحديد . وجعلوا لها منه أطواقا ، ووثقوها شدا وشدوها وثـاقا . ولبسـوها بالسلوخ ، وملأوها بالجروخ . وزحفوا بهـا الى السـور وكشـفوا بـالرمي منهـا بعض سـقوف الدور . وتسـاعدوا على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق ، ووصل من المدينة عوام ، يخبر بان التلف بها حوام . وان البلد قد أشرف . والخـطر قـد أسرف . والابراج علت . والاسوار خلت والبلاء قد عم . والخندق قـد طـم .

وأنتم إن تم هذا عراكم العار . واظلم على الدنيا والدين بليله النهار فاحتمي السلطان واحتد وشد وا شتد وكرب وركب وكان يحسب هذا فجاء كما حسب . وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن الزحف ويصرفهم عن الفتح بالحتف . وذلك في العشرين من ربيع الاول يوم الجمعة . بالجحافل المجتمعة . والغماغم المرتفعة . والصوارم الملتمعة . والصلادم الممتنعة . والأسنة المشرعة والاعنة المسرعة . والحوائم المنتجعة من النجيع . والبيارق المختفقة كأزهار الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين . صاحب دار محمود ابن بهرام الارتقي . بالجمع الوافر الوفي والعسكر النخي الذقي ، وسار الى القتال على حاله . بخيله ورجاله . وضايقهم السلطان مضايقة عظيمة . ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة . حتى دخل الليل . ولغبت الخيل . فقوى تلك الليلة اليزك . والزمهم في الحفظ الدرك . ورجع الى مخيمه مساهدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور نحوهم مجاهرا . فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب . وسبحهم على بحر الكر والكرب . ورجل الرجال اليهم . وانزل الذوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد النقع . واتسع خرق الواقعة على الرقع . وانقضى اليوم . وقد انقرض القوم . وتفرق الجمعان وقت العشاء . عن قتيل غريق في الدماء . أو جريح على بقية الذماء . وبات الناس في السلاح شاكين . وبنار المذاكي ذاكين . ولما تم منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل العياضيه . وقد الزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع في رياض الاخلاق الرياضية . وأصبح يوم الاحد راجعا الى قتال أهل الاحد . واستن من الجد على انهج الجدد . وامر بانتقال السوق الى قربه ليقرب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الاظهر . والظهور الانضر . واقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل . ويعد ويقاتل . ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لئلا يغيب حاضر . ولايصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب مباشرين . ولمعشر الكفر بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين . فانتدب منهم الى الحرب كل مجترىء للوقائع مجترح . وكل محترق

على نار الهيجاء للهياج مقترح . وكل وقاح بالحراب وقاع . وكل صرار بارداء الكفرة دفاع . وكل غلام له من هيجان الحمية لغام . وكل أسد غدا الى

الشد له في حومة المأزق زئير وبغام . وكل متلاف للغيرة غير متلاف . وكل جاف عن سوى السوء متجاف . واخذوا من بيت السلاح السيوف والتراس . وطلبوا بقصد العدو الاقتناص والافتراس . وابلوا بلاء حسنا . واوضحوا بالذكاية في العدو سننا . ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين . عوام من البلد يخبر بقوة المشركين المحاصرين . وان البلد ضويق . وان العدو المخذول يحيق به كيده وان حوقق . فتقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله . ويكفه بنزاله عن نزاله . وجدد الكتب الى الامصار . بالاستنفار والاستنصار . فاول من وصل ولده الملك الظاهر صاحب حلب . وقد جمع وجلب . وتقدم عسكره يوم الجمعة وتفرد بوصوله . وحظي من نظر والده بسوله . وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد الى معسكره . وجاء يوم السبت في حسن منظره واحسان اثره . في منظر ناضر . ورونق حاضر . وجمع كثيف . وحشد لفيف . وبهجة رائعة وروعة مبهجة . وهيأة معجزة وهيبة للعدو مزعجة . وصولة دائلة . ودولة صائلة . ورقاق وذوابل . وعتاق وصواهل . وعوابس وعواسل . وشعوب وقبائل . وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن علي كوجك وهو صاحب حران جريدة . وقد استأذف للجهاد عزيمة جديدة . ثم عاد الى عسكره ليقدم به . ويحضر بجنده وتركمانه وعربه

ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان و من كان في طباقها .

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون تتابعت بظهور دلائل النصر وتناصر اسباب الظهور المبشرون .

فنظرنا والنار من احد الابراج في السماء بشعلها متسامية . وفي الجو بشرارها مترامية . ومايدرى ماسبب هذا الحريق . وكيف تيسر هذا التوفيق واحدقت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار . وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لانوارها في استبشار . ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في اثنائه تحترق . ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هو يشتعل . وبألسنة النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها ، وبلغت الينا من صدماتها وحدماتها استغاثتها . وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشائر النار . ونسير بطاقاتها على أجنحة الاطيار والعجب ان الأبراج كانت متباعدة غير متدانية . وقد أبعدها الفرنج لمسافات متنائية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وخسف اسواره وكسفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد . وقدر من الله وارد ، فلم يكن ذلك الا سرا الهيا . ولطفا ربانيا . وفرجا بعد الشدة . وثلجا لصدور المؤمنين بتلك الوقده ، وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان قد استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد ، واقام فيها باذلا للاجتهاد ، وغري بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره ؛ وتعيين كل نوع وتعيير مقاديره ، وتقدير معاييره ، والناس يضحكون منه . ويغضون عنه . ويقولون هذا يضيع ماله فيما لايعنيه . وماهذا الهوس الذي وقع فيه . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور . ويرتب الامور . فلما قدمت الى البلد تلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتزاج . قوتلت بكل فن ، وادنى اليها من النفط كل قدر ودن . ورميت بكل قارورة محرقة . وكل نفاطة مرهقة . وبالغ في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق . ووقع الياس . واستسلم الناس . فمضي ابن العريف . بل ابن العريف . الى بهاء الدين قراقوش الامير وقال قد رأينا ما اعترض من التدبير . وماعرض من التقدير . فافسح لي في رمي هذه القدور . فلعل الله يأتي منها بشفاء الصدور . فانن له على كره . وقال ماارى لاحراق هذه البروج على يده من وجه . فان الصناع قد ابلسوا والزراقين العارفين بالصناعة يئسواه فلما وجد الانن وزن القدور وعيرها

ورمى بواحدة منها الى احد الابراج في المنجنيق وعبرها واعتبرها ثم لما استوت رمايته وصحت في الاصابة درايته . رمى بقدور نفط لانار فيها. وهو يصبها على اعالي البرج ويسقيها ، والفرنج يعجبون من البال ولايدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر ناريه ، متشبعة بكل بلية فوقعت في الطاقة الوسطى ورمى اخرى فوقعت في السفلى . فاشتعل البرج من طرفيه الادنى والاعلى ، وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين . فاحترقوا اجمعين . ودخل اليه ايضا جماعة لاستنقاذ مافيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم . وتقلبت الجحيم عليهم غيظا لاستبطاء حتوفهم . وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني . ولم يلحقه في احراقه التواني ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . وماكان ذلك بصنعته منه بل لان الله وفقه . ومازالت تحترق الثلاثة وتتقد اتقادا حتى عاد جمرها رمادا ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سوادا . واحترقت المجانيق والستائر التي كانت بقربها . (وبهت الذي كفر) (البقرة ٢٥٨) واسف على نصبه في نصبها . وخمد الكفار بذلك الضرام ،وسلوا عما كانوا فيه من غرام . وحبطت اعمالهم . وخابت امالهم . وركدوا بعد حربهم ، وركنوا الى خزيهم ، وضلوا في سعيهم . وتورطوا في بغيهم . وسقط في ايديهم بسقوط ايدهم وحيق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فنظفوا الخندق وسدوا الثغر ، واظهروا بظهور القدر القدر ، وجاؤوا الى مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكامنها . ونبشوا الرماد عن الزرديات التي انسكبت ، وكشفوا عن الستائر التي تهتكت . فاخذوا ماوجدوا وحصلوا على ماذشدوا واترب من ترب من تراث ذلك التراب . وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب . وبردت من حر تلك النار . وشفي اوامها بذلك الاوار . والحمد لله الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيمية . وعلى اعدائه بالحر والضرام جحيمية .

ذكر فصول أنشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما اجده الله من الجد . وانجزه من الوعد . واجزله من الرفد . واعذ به حال الظما البرج من الورد . وذلك ماظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن . والنصر الذي يقصر عن وصفة ذوو الالسن وهو ان اصحابنا بعكا رموا بقدور الذفط عبد العدو المدحور . واحرقوا جميع مالهم من المنخور . واحترقت ثلاثة ابراج كانوا قدموها . ودبابات قربوها . ومنجنيقيات نصبوها . ولهم منذ تسعة اشهر يجمعون هذه الالات . ويستسهلون عليها الغرامات . حتى اقدموا ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها ناكية في الثغر المحروس بفتكها . وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها . واطلوا على مناكب البلد اعناقها . فاشفق الاسلام من نكاياتها . واظلت الافاق من غياياتها . وكشفت من البلد جانبا وجبت من سوره غاربا . فاقدر الله على احراق ماعمل في تلك المدة المديدة في ساعة ، وامسى العدو بقلوب وافئدة مرتابة مرتاعة . ومافصح ألسن النيران . على تلك الاعواد خاطبه . ومابسط ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورت زناده . والنصر الذي قرب ميعاده . وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا . وصبروا فانتصروا . ورموا من البلد ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور الذفط . وانزلوها من سماء الرفعة الى ارض الحط . واطالوا بها ألسن النار المنصرمة . ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمه . وعلم العدو ان كرته خاسرة وان يده عن نيل المنى قاصرة .

فصل

هذه مبشرة بالظفر الهني . والنجع السني والذور اللامع من النار . والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول . وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه . ولزم في الزحف الدائم لجاجه . فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر . ورموهم بقدور النفط المحرقة من الثغر . فطالت السنة النيران تدعو على اهلها بالبوار . وتبدي في تضرمها تضرعها الينا للاعتذار . وشاهد اهل النار ماعد لهم في سقر . وتلونا قول الله سبحانه فيهم:كذلك نجزي من كفر (٤٣)

(فصل الى الديوان العزيز)

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى اصحاب المحصورون المنصورون عدد العدو وابراجه بقدور النفط من البلد فخطبت السنة النيران على تلك الاعواد . بل على تلك الاطواد . والحقها رداء الردى والحقتها بالوهاد . وفرشت رمادها لما تم اولئك المراد . فكانت تلك النار على الكفر ضراما . وعلى الاسلام بردا وسلاما . واحترقت الابراج الثلاثة على معتقدي التثليث . ودبت النار الى الدبابات والمنجنيقات بصدمه المنجنيقات .ودبت النار الى الدبابات . بصدمة التاثير وحدمة التاريث،ومااطول ألسن النار . وافصحها بالدعاء على اهلها بالتبار . وقد ابدت الى الاسلام بتضرمها وتضرعها وجه الاستبشار . ومااحسنها وهي ترمي بشرر كالقصر . ويكسو سني لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر وماقطعها لدابر المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد اجنحة الحصر . وبسم بعد عبوس البوس باسم الله ثغر الثغر .وقد بغتت هذه الفجيعة فجأة من

حوته تلك البروج . ودخل الى طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج . وهلك فيها اكثر من ثلاثمائة دارع . وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق . الى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف . كل ما وجدوه خلال رماد تلك الحتوف . وكان القوم قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقها . واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقها . ووصلوا بها اجنحتهم . ونخروا فيها اسلحتهم فاخفقت ظنونهم . وسخنت عيونهم . وخسر هنالك المبطلون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها

استنفد الفرنج اموالهم في عدد اعدوها . وآلات اجدوها . واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شادخات . وزاد غرامهم بالغرامات . واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على لجاجهم . يطرقون بين يدي ابراجهم . ويمهدون الارض لتسوية مهاجهم . فلما قدموها بعد لأي . واحكموا باحكامها كل تدبير ورأي . واشرفوا منها على سور البلد بأمور ذات أسواء . وجاؤوا بآلات وأدوات أدواء . واشفى البلد من بلائها واشفق . ووجل كل قلب وفرق . واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل . ومداواة الامر العليل الى ان نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر . وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر . فكان من لطف الله مالم يكن في الحساب . واتى الله المجرمين بالعذاب . والهم اصحابنا ماداووا به المرض . وادركوا به الغرض . واظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور . وأقدرهم على رمي تلك الابراج بالذفط في القدور . وظهر من سر منع الله ما كان في المقدور . فتسلطت النار على عمل اهل النار وتصاعدت زفرات غيظها باذفاس الشرار . ولمع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تبارك وتعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) (الرحمن ٣٥) وعادت تلك الاكم وهادا . وذلك الجمر رمادا .

وتحلحلت تلك الجبال وتحلل تركيبها . ولصق بالتراب ترتيبها . وتنكس منها صليبها . وكانت ثلاثة ابراج شاهقة فلعبت في ملاعبها النيران فاذا هي زاهقة . وتنقلت نجوم الشعل في تلك البروج . وعجز شياطينها برجمات شهبها عن الخروج . وتسلط الحضيض على يفاعها . وباد الدارعون فيها بادراعها . واضحك الله ثغر الثغر بما اطابه من ارج الفرج . واخمد باشتعال ذلك الوهج ما اكرب قلوب المؤمنين من الوهج . وصان مهج أهل التوحيد بما أرداه لأهل التثليث من المهج .

(فصل)

تقدم المشركون بالابراج الى البلد فقربوا من اسواره . والصقوا منها جدرانا بجداره . واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره . فاظهر الله ما كان خفيا من سر أقداره . واحرق عمل اهل النار بناره . وكان اصحابنا عاينوا مادهمهم وهمهم . وخصهم من الخطب وعمهم . نصبوا مجانيق بازاء الأبراج . وصدعوها بها صدع الزجاج . ورموها منها بقدور الذفط فاشتعلت رؤوسها وشابت وشبت . ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت . وارسل الله في تلك الساعة بعذابها ريحا بها هبت . فامست اجنحتها قد حصت واسنمتها قد جبت . وسقط في ايديها ووجبت جذوبها وكبت على وجوهها في النار وكبت . فما افصح السنة النيران وقد نادت بنصرنا والفت منها قلوبنا بما الفت من ذقع غليلها واحبت . والحمد لله على الطافه التي ماغابت ولا اغبت .

وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقها وحقيقتها . وحليتها وجليتها . فانه يشتمل كل فصل على تمام ما اغفل في غيره . ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاخر . قدم عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي بمن استنهضه من العساكر . وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته . من العسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بتل كيسان . ولقيه بعده الملك الظافر خضر و المعز اسحق ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له . وتعمدا اعظامه واجلالة . ثم تلقاه الملك الافضل ادنى من ذلك فتعاذقا على فرسيهما اعفاء له من النزول . وتلاقيا بالاقبال والقبول . ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك واللطف المتدارك . واعتنقا على ظهر . واتفقا على بشر وبشر . وكان الملك العادل تأخر فلحق . واظهر من ارج سجاياه ما بشره عبق وبحبه علق . وسار مع السلطان باطلابه وابطاله . وحماته ورجاله . حتى وقف قباله العدو بصفوفه . ووقف عليهم طول الرعب وبطول وقوفه ثم رده السلطان الى خيمته على رسم الضيافة . وترفرفت الطافه عليه بالاطافه . ووقف ساعة مع الملك العادل حتى دخل السلطان سرادقه وجلس . وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرشه ثوبا اطلس . واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة . وآنسه ببشر السماحة والسجاحة . ووقف الامراء والخواص والاولياء صفين . واذشد الشعراء من المدح والنسيب صنفين . ثم احضرت المائدة فماد نحوها الحضور . وعقد الحبا لهم الحبور . ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان . وحسن الخبر والعيان . وخلا المكان وحلا الامكان . فأمر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب . وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بعبء الشكر ناهض . واوجه العذر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية . وملأ تلك المروج بعساكره المللية . ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود صاحب الجزيرة . بعساكره الكثيفة الكثيرة . وذلك يوم الاربعاء سابع جمادى الأولى . بالأيد الأطول واليد الطولي . فالتقاه السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه . وأجراه

في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه . لكنه لم يقصر في القاعدة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السرادق العمادي . وقد استكثر من العسكر الجهادي. فكان ذلك المرج بحر امواجه الخيم والمضارب . أو سماء كواكبها ما اشرعته من صعادها الكتائب . أوغيل أساده في أجام القنا الفوارس . او غدير من السوابغ حبابه التراثك والقوانس. او سحاب بروقه الصوارم الرقاق . او وهاد اكامها الصواهل العتاق . ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود . وهو كوالده مسعود مودود. وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادى الاول يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة . والمفاخر الاصيلة المتفرعة . والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة . وجيشه للقوة ضابط . وجاشه على الحمية رابط . وباسه لبد الايدباسط وجنانه على الكفر ساخط . وهو شاب اول ما بقل خطه . وابتهج بكماله رهطه ، وكان ابوه قد عزم على الوصول بنفسه . وانهاب وحشة الخطب الملم بانسه. ثم رأى المصلحة في الاقامة وتقديم ولد المشكور المشهور الشهامة. فانهض العسكر المجر معه ثم اتبعه بمن حشده وجمعه. فورد ورود السحاب الكنهور (٤٤) . ونور المطالع بسنى السنور (٤٥) واطلع بطلوعه على معنى البأس المصور . واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه . وحافظ من الكرامة على توفير سهمه . وانزله في سرادقه واضافه . وأهدى خيله والطافه . وامر بانزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الافضل والظاهر . وضاق ذلك البر الواسع ببحر العساكر . ولم يبق في اهل السلطان الامن اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء . واعتماد ما قام به البرهان على المخالصة في الولاء . والمسارعة الي الضيافة والاهداء . والاعادة الى المكارمة بعد الابداء .